يوميات

الرئيس جمال عبد الناصر

عن

حرب فلسطين

١٩٤٨

منشوره : المصور ساعه مارس ابريل ١٩٥٥
محمد صبيح ايام وايام

ادعى أنه ذاهب الى الحدود لزيارة قبر أبى عبيدة بن الجراح ، وهو قريب من جسر المجامع ٠٠ وانسل من هناك الى مائدة غداء أعدها له اليهود ٠ وحضر قاضى قضاته محمد الشنقيطى هذا اللقاء ، حيث تمت الصفقة ٠٠ ولعل روح البطل العظيم أبى عبيدة ، كانت تلعن الخائن وما صنع فى هذه الفترة ، وفى كل فترة تلت ٠

أما لقاء الملك عبد الله الثانى مع اليهود ، فكان فى عمان ، حيث حضرت لمقابلته جولدا ماير متنكرة فى زى عربى، وكان ذلك فى ليلة ١١ و ١٩٤٨/٥/١٢ وذلك لكى تستوثق من موقف الملك « الهاشمى ! » فوجدته عند عهده لليهود ٠٠ وكان الاتفاق هذه المرة على مائدة عشاء ، وأكثر تحديدا مما حدث مع شرتوك فى الشهر الماضى ٠٠ فقد قبلت هذه السيدة عن الوكالة اليهودية ، ضم القسم العربى من فلسطين الى التاج الهاشمى ، على ألا يرسل جيشا يحارب اليهود ٠ ولكنه وافق على العرض الأول ، وقال انه مضطر الى ارسال جيش ، ولكنه يضمن ألا يتجاوز جيشه حدود التقسيم ٠

ولم ينكر الملك عبد الله بعد ذلك مقابلته لمندوب اليهود ٠ وكان كل ما شكا منه ، أنها امرأة جبارة خشنة الحديث !!

الجيوش السبعة !!

لقد استمرت الحرب فى فلسطين أربعة أسابيع ٠٠ وكانت مناطق عمل الجيوش كما يلى :

الجيش المصرى : يعمل فى القطاع الجنوبى متجها الى تل أبيب
» الأردنى : يعمل فى قطاع القدس ويتقدم من باب الواد الى حيفا
» السورى : يعمل فى القطاع الشمالى ويتقدم من الجليل الى حيفا
» العراقى : يعمل فى القطاع الأوسط ويتجه من مرج ابن عامر الى حيفا
» اللبنانى : يعمل فى القطاع الشمالى ويدافع عن حدود لبنان
» السعودى : يعمل مع الجيش المصرى
» الفلسطينى: يعمل فى الداخل فى سهل شارون

وكان الجيش المصرى ، الذى استهدفته هذه المؤامرة ، مكونا من ٨٥٠٠ جندى و ١٥٠٠ للخدمات ، وهى عبارة عن كتيبة مدرعات (شرمان ماتيلدا) وخمس كتائب مشاة ، وكتيبة رشاشات ، وكتيبة مدفعية ٢٥ رطل ، وبعض مدافع ٥٧ مم ٠

وكانت قوة الطيران مكونة من ١٥ طائرة مقاتلة و ٥ قاذفات قنابل ، وبعض طائرات الاستطلاع ٠

وأعطيت التعليمات للواء أحمد المواوى بأن يتحرك اللواء الأول بمحاذاة الساحل وسكة الحديد شمالا ٠ واللواء الثانى يتجه لبير سبع ، الى الخليل ليتصل بالجيش الأردنى جنوبى القدس ٠

وفيما يلي يوميات العمليات :

● في يوم ٥/١٥ اجتازت القوات الحدود ، وتركت مستعمرة الدنجور التي قاومت الاستيلاء عليها ، ووصلت الى غزة · وأذيع بلاغ رسمي في القاهرة ، بأن الاستيلاء على الدنجور تم ، ولم يكن هذا صحيحا ·

يقول الرئيس جمال عبد الناصر عن فترة التحرك الأولى :

« بدأت أيام شهر مايو سنة ١٩٤٨ ، ونحن مانزال في القاهرة ، وأعصابنا تحيا في فلسطين · وأخيرا تقرر أن تدخل مصر المعركة رسميا · وصدرت الأوامر بأن ألتحق بالكتيبة السادسة ، ويلتحق عبد الحكيم عامر بالكتيبة التاسعة ، وزكريا محيي الدين بالكتيبة الأولى · وكان الجيش المصري يومئذ مكونا من تسع كتائب · ولكن ثلاثا منها كانت قرب الحدود ، حينما صدر الأمر بدخول فلسطين · وكانت هناك رابعة في الطريق · وكنا نتساءل : لماذا لم يحشد عدد كبير من الكتائب ما دمنا قررنا دخول حرب فلسطين ؟ ولماذا لم يستدع الاحتياطي · ثم لماذا يصف البلاغ الرسمي الأول عمليات فلسطين ، بأنها مجرد حملة لتأديب العصابات الصهيونية ؟··· اننا عندما ذهبنا الى منطقة الحدود ، لم نجد من يهتم بنا ، أو يرشدنا الى الذي يتعين علينا · وحين عثرنا على أركان حرب المنطقة ، كان الشاب يبحث عن عشاء لنفسه ! »

● اكتشفت عمليات الفدائيين الأولى أن اليهود قبل معركة فلسطين ١٩٤٨ ، كانوا قد اشتروا من مصر مجموعة ضخمة من الجرارات ، بدعوى استخدامها في الزراعة ، ولكنهم ما لبثوا ، أن حولوها الى دبابات خفيفة ·· وظهر أنه لم تكن لدى مخابراتنا الحربية أية بيانات عن تسليح اليهود ، أو أرض المعركة ·

● وفي الوقت الذي كانت المعركة تحتاج الى كل قطعة سلاح ، حجزت الدبابات في القاهرة ، ولما سأل ضباطنا ، عن سبب منع هذا السلاح الثقيل الفعال عنهم ، عرفوا أن الدبابات دخلت الورش ، حتى يقوم العمال بطلائها ، استعدادا للسير في طابور سفر المحمل !

الحقـــائق كاملة (١)

وحتى نقدم الحقائق كاملة عن هذه الحرب ، فانا لم نجد أصدق ولا أدق من

---

(١) نشرنا في كتابنا : « كفاح شعب مصر في القرنين التاسع عشر والعشرين » النص الكامل لمذكرات محمد فريد ، بعد أن حجبت عن الشعب خمسين سنة كاملة · وننشر في هذا الجزء من دراساتنا القومية ، مذكرات جمال عبد الناصر عن حرب فلسطين ، التي ظهرت في خمس حلقات بمجلة آخر ساعة أعداد مارس وأبريل سنة ١٩٥٥ · وقراءتها مجمعة اليوم تضعها في مصاف أوثق المعلومات التاريخية عن هذه الفترة ·

الوصف التفصيلى الذى كتبه الرئيس جمال عبد الناصر ، عن يوميات فلسطين، بوصفه أحد المحاربين فيها · وقد دون معلوماته ، وملاحظاته ، وخلجات نفسه ، بأسلوب من الصراحة ، يوضح لنا الكثير من أسرار تلك الأيام الفاجعة ، ويظهر بوضوح واضح ، ما صنع الانجليز بقيادات الجيش المصرى ، فى فترة ثلثى قرن، أشرفوا فيها عليه ، وكيف عجزت هذه الرؤوس عن ادارة المعركة ، بحيث كانت امتدادا لنفس العجز السياسى الذى أديرت به المعركة ، سواء من جانب الملك والرؤساء ، أو من جانب الحكومات ، أو من جانب الجامعة العربية التى لم تكن الا ظلا لحالة الحكم العربى كله ·· وكيف يستقيم الظل والعود أعوج ··

لقد جمع القطار الذى سافر فيه جمال عبد النـــاصر الى المعــركة زميليــه عبد الحكيم عامر وزكريا محيى الدين · وكان من نصيب جمال الكتيبة السادسة ومقرها رفح · أما الكتيبتان الأولى والتاسعة ، فكانتا فى غزة ، وقد ركبا سيارة الجيب للالتحاق بهما هناك ·

وفيما يلى وصف جمال عبد الناصر بحروفه ، وقد بدأه بقوله : لست أريد أن أرفع معنويات الجيش بعد حوادث غزة الأخيرة ·· أريد أن أقول الحقيقة التى عشتها ··· (يقصد حوادث الاعتداء اليهودى على قطاع غزة عام ١٩٥٥) ·

الكتيبة السادسة وجوها

كان الجو فى الكتيبة السادسة حين وصلت اليها فى حال عجيب ·

كانت الكتيبة قد فرغت لتوها من عملية ضـــد مستعمرة الدنجـور عادت بعدها الى مراكزها فى رفح ، ولقد تركت الكتيبة وراءها على أرض المعركة حول الدنجور بعض الضحايا الذين تركتهم الكتيبة عند الدنجور ، وكان من الضحايا ايمانها بالحرب التى تخوض غمارها ·

وبدأت أسمع التفاصيل ·

صدرت الأوامر من القاهرة بأن تتحرك الـكتيبة الى الدنجـور فى ليلة ١٥ مايو ·

ولم يكن هناك وقت لكى تستكشف الكتيبة غرضها الذى سوف تهاجمه ، وكذلك لم تكن هناك معلومات قدمت لها عنه ·

وكان هناك دليل عربى واحد نيطت به مهمة قيادة الكتيبة الى موقع مستعمرة الدنجور ولم يكن هذا الدليل يعلم شيئا عن تحصيناتها ودفاعها وكل الذى قام به هو أن ظل يرشد الكتيبة الى الطريق ويدلى لهـا بمعلومات غير واضحة ولا دقيقة حتى ظهرت أمامها فجأة تحصينات الدنجور ·

ولم يسترح الجنود بعد الرحلة الشاقة وانما اندفعوا الى الاسلاك ·

ولم يكن هناك من يعرف ما الذى يجب عمله على وجه التحديد ،

ولكن المدافعين عن الدنجور كانوا يعرفون ٠

وأصيبت الكتيبة بخسائر لم تكن متوقعة ، وعند الظهر أصدر القائد أمره بالابتعاد عنها وعادت الكتيبة الى رفح ، لتجد بلاغا رسميا أذيع فى القاهرة يقول : أنها أتمت عملية تطهير الدنجور بنجاح !

ولاحظت بين الذى سمعت من تفاصيل ، ظاهرتين هامتين ٠

الأولى أن هناك نغمة بين الضباط تقول ان الحرب حرب سياسية ٠

وكان لهذه النغمة ما يؤيدها ويتناسق معها من كل ما رأوا حولهم ٠

لم يكن معقولا أن تكون هذه حربا ٠ لا قوات تحتشد ، لا استعدادات فى الأسلحة والذخائر ، لا خطط ، لا استكشافات ولا معلومات !

ومع ذلك فهم هنا فى ميدان قتال !

اذن فهى حرب سياسية !

هى اذن حرب ولا حرب ٠

تقدم بلا نصر ، ورجوع بلا هزيمة ٠

هى حرب سياسية فقط !!٠٠

والنغمة الثانية أن أساطير من المبالغات كانت تؤلف حول قوة العدو العسكرية ٠

لقد فوجئت القوات بمقاومة مستعمرة الدنجور ولم تكن تعرف عنها شيئا٠

وسمعت واحدا من زملائنا يروى كيف أن أبراجا تعمل بالكهرباء كانت تطلع الى سطح الأرض وتطلق النار فى كل اتجاه ثم تهبط تحت الأرض أيضا !!

ولم أكن مشتركا فى هذا الحديث ، ولكنى لم أستطع السكوت والتفت الى زميلنا أسأله :

ـ كيف عرفت أنها تعمل بالكهرباء ، انك لا تستطيع أن تقطع بهذا الا اذا كنت دخلت المستعمرة وفحصت قواعد هذه الأبراج ٠٠ فهل فعلت هذا ؟

وسكت زميلنا ولكن أساطير الأبراج المتحركة بالكهرباء الضاربة فى كل اتجاه لم تسكت !

ولم يكن اللوم فى رأيى موجها الى هؤلاء الشبان ، انما كان المسئول عنه نقص المعلومات عن العدو نقصا قاتلا مدمرا !!

تعبير صادق !

وبدأت بعدها كأركان حرب للكتيبة السادسة أشعر بالحيرة والعجز اللذين كانا يحكمان قيادتنا العليا أكثر من غيرى ٠

وكانت مئات العوامل تتنازعنى ولم أكن أعرف الوسيلة التى أعبر بها عما أحس ٠

وأعترف أنى سمعت من أحد الجنود تعبيرا واضحا عن حالتنا ٠٠ قاله الجندى بلغته الساذجة الدارجة ، ولم يكن يعرف اننى أسمعه ، ولا كان يعرف أن عبارته الساذجة الدارجة كانت وصفا صادقا لما كنا فيه ٠

جاءت الأوامر الى الكتيبة بأن تهد معسكرها الذى تقيم فيه وتنقل الى مكان آخر يبعد عنه ثلاثة كيلو مترات ٠

ولم أستطع أن أتصور الغرض من هذا التحرك ، ولكن الكارثة الكبرى أن الذين أصدروا أمرهم به لم يكونوا يعرفون له غرضا هم الآخرون ٠

وكان الدليل أنه بعد ثلاث ساعات من هذا الأمر ، وبينما نحن نقيم المعسكر الجديد ، جاءتنا أوامر جديدة بالتحرك الى المحطة وركوب القطار المتجه الى غزة ٠

وبدأنا نهدم الخيام التى لم نكد نفرغ من اقامتها ٠

وجاء أحد الجاويشية الى جندى كان منهمكا فى اقامة احدى الخيام وقال له :

ـ يا عسكرى هد الخيمة ٠

ونظر الجندى فى دهشة الى الجاويش ولما علم أن أوامر جديدة بالتحرك لركوب القطار قد صدرت ، بدأ يهد الخيمة التى هدها فى الصباح من مكانها ، وبدأ عند الظهر يقيمها فى مكان جديد ثم أمر بهدها مرة أخرى قبل أن يفرغ من اقامتها ٠٠ وسمعت الجندى بأذنى يقول :

ـ يا خيبتنا ٠٠ يا خيبتنا !

يقولها منغمة ممدودة ٠٠ بلهجة ريفية ساخرة ٠

وأحسست أن الشكوك التى كانت تساورنى حول عجز قيادتنا وترددها قد وصلت الى الجنود ٠٠ وأن هذا هو التعبير البسيط الساذج عنها ٠

وركبنا القطار الى غزة وفى قلبى هموم ٠

وعلى أى حال فقد كان يخفف من همومى انى كنت أعلم أنى سوف التقى بعبد الحكيم عامر فى غزة ، وأنى سأتسلم منه مواقعها فقد كان عليه كأركان حرب للكتيبة التاسعة التى تتولى العمل فيها أن يسلمنى كأركان حرب للكتيبة السادسة المواقع التى سنحل فيها مكانهم !

وكان بينى وبين عبد الحكيم عامر حديث طويل فى غزة ونحن نطوف بالمواقع التى كان عليه أن يسلمها لى ٠

كانت مواقع الكتائب الأربع فى فلسطين يومها كما يلى :

الكتيبة السادسة متحركة من رفح الى غزة ٠

الكتيبة التاسعة تستعد لمغادرة غزة بعد وصول كتيبتنا اليها ٠

الكتيبتان الأولى والثانية متحركتان الى الأمام فى اتجاه المجدل على الطريق الساحلى !

وأذكر أننى صارحت عبد الحكيم بهواجسى ٠

فقد كنت أحس أن هناك عملية بعثرة لقـــواتنا ، فنحن نتقدم على السهل الساحلى ونترك المستعمرات المحصنة وراء ظهرنا تهدد جناحنا الشرقى وخطوط مواصلاتنا ٠

وتركنى عبد الحكيم عامر مع كتيبته المتقـــدمة الى الأمام والتى كان عليها واجب فى معركة دير سنيد بعد أن سلمنى ألف جنيه كانت فى عهدته ، وكان على أن أشترى بهذه الألف جنيه كل ما أستطيع شراءه من جبن وزيتون !

لم يكن لدى الجنود المتقـــدمين تعيينات طوارىء يعتمدون عليها فى المراكز الأمامية حيث لا تستطيع الوجبات الساخنة أن تصل اليهم ٠

ولم يكلف أحـــد خاطره أن يفكر فى أمر وجبات الطوارىء اللازمة للجنود المحاربين وكل الذى فعلوه أنهم بعثوا الينا بألف جنيه وقالوا لنا :

ــ اشتروا جبنة وزيتون ٠

واشـــتريت كل ما كان فى غزة من الجبن والزيتون ، وقلبى مجـروح على الجندى الذى يهاجم المواقع الحصينة بجسده العـارى ثم يجلس وقت الأكل فى جحر كجحور الفيران يقرض قطعة من الجبن ٠ اشترينا كل ما عثرنا عليه منه فى غزة بألف جنيه ألقوها الينا وقالوا لنا :

ــ تصرفوا ٠٠

وكان قلبى المجروح يهتف بى فى كل دقة من دقاته :

« ليست هذه حربا » !!

وبدأت وأنا فى مكانى فى غزة ألاحق تطورات معركة دير سنيد التى كانت قد بدأت ٠٠ ألاحقها دقيقة بدقيقة ٠

كنت أسمع دوى المدافع عن بعد ٠

وكان الجرحى من رجالنا يصلون أفواجا بعد أفواج الى مستشفى غزة ٠

وكانت ليلة ٢٠ مايو من أتعس ليالى حياتى ٠

قضيتها فى مستشفى غزة العسكرى ، والأسرة حولى كلهـا مليئة بجرحى معركة دير سنيد التى ماتزال مستمرة !

« كل هذا وراديو القاهرة يذيع بلاغا أصدرته القيادة العامة تقول فيه أن قواتنا احتلت مستعمرة دير سنيد واقتحمتها اقتحاما رائعا بالمشاة » ٠

وكانت هذه كذبة مؤلمة ٠

فان المستعمرة لم تكن قد احتلت بعد ، وان كان الشيء الوحيد الصحيح فى البلاغ الرسمى هو أن المشاة كانت تقوم بعملية اقتحام رائعة ٠

وكانت فى أعماقى ثورة على الذى كان يحدث أمام دير سنيد وتصل الى أخباره ٠٠

أى معركة هذه ٠٠ هذه التى يستهلك فيها جنود المشاة بهذه الطريقة المروعة ٠٠ فى هجمات نهارية مكشوفة ، وأجساد عارية لا تحميها قوات مدرعة ، أمام تحصينات قوية ، ومدافع ماكينة متحفزة فى أيد معدة مدربة ؟ صحيح أن موجات مشاتنا لم تتوقف ، كانت موجة منهم تسقط أمام النار فتجىء موجة بعدها غير هيابة ولا خائفة ٠٠ ولكن أكنا نسوق جنودنا الى معركة أم كنا ندفع بهم فى غير رحمة الى مجزرة ؟!

قائد بلا جنود !

كان الموقف فى الميدان كله يظهر واضحا لعينى وأنا فى مكانى فى غزة ٠

لقد انتهت معركة دير سنيد بعد تضحيات غالية بالنصر برغم كل المصاعب التى كانت تحيط بقواتنا ٠

وبعد المعركة صدرت الأوامر الى الكتيبة الأولى بالتقدم الى المجدل ٠

وتقدمت الكتيبة التاسعة الى أسدود ٠

ثم صدرت أوامر جديدة الى الكتيبة الأولى بالاتجاه شرقا واحتلال عراق سويدان ٠٠ والفالوجا ٠٠ وبيت جبرين ٠

وكنت أكاد أفقد اتزانى وأنا أتابع هذه التطورات التى كانت تنشرها صحف القاهرة قبل أن تتحرك قواتنا طبقا لها فى الميدان !!

ولم أكن أستطيع أن أدرك الهدف من هذه الأعمال جميعا ٠

لقد كان هم قيادتنا أن تحتل أكبر مساحة من الأرض وكانت النتيجة أن الكتائب الأربع توزعت على خطوط طويلة ٠

وأصبحت قواتنا المبعثرة لا هم لها الا حماية نفسها ومواصلاتها ٠

ولم يعد هناك تحت تصرف القيادة احتياطى متحرك تستطيع أن توجهه الى ضرب العدو ، وأصبح قائد الجيش المحارب ٠٠ قائدا بلا جنود ، أو هو فى الكثير يحكم مجموعة من نقط الحراسة المبعثرة على جبهة واسعة ٠

وكنت أرى بوضوح أننا فقدنا تماما القدرة على المبادأة ، وأسلمناها للعدو طائعين مختارين ٠

وكان هذا الذى كنت أراه فى مكانى فى غزة ، واضحا أمام الضباط والجنود فى الخنادق وكان له أثره المدمر على الروح المعنوية ٠

كان كل جندى يشعر بالنقص فى السلاح ٠

وأكثر منه يشعر بالنقص فى الخطط ٠

وأحس كل واحد أن القائد العام فى الميدان لا يملك من أمر قواته شـــيئا وأنه لا يتصرف طبقا لاحتياجات الميدان ، وانما هـو يتصرف تحت تأثير عوامل أخرى أبعدها عن حسابه ظروف الميدان ٠

وكان شعور الجنود والضباط بأنهم تحت رحمة العـدو ، وهم هنـــاك فى مراكزهم المعزولة المتناثرة ، يجعلهم يشعرون بأنهم هدف منعزل محدد ثابت ، أمام عدو قادر على الحركة السريعة ٠٠

وعاد الكلام فى الخنادق مرة ثانية عن الحرب السياسية ٠

وكانت كارثة « الحرب السياسية » أبغض شىء الى تفكيرى فى تلك الظروف فقد كنت أعرف من عبر التـــاريخ أنه ما من جيش دخل حربا سياسية الا هزم فيها وكانت آخر الأمثال فى ذاكرتى هزيمة ويفل فى معركة اليونان ٠

ان الحرب يجب أن تكون حربا !

والقائد فى الميدان يجب أن يتصرف طبقا لظروف الميدان ٠

ولكننا كنا فى حرب ولا حرب ٠

وكان لنا قائد ولكن ليس له جنود ، لأنه بعثرهم على جبهة واسعة بحيث أصبحوا قوات حراسة تكاد مع التفاؤل الشديد تكفى لحماية نفسها فقط !!

ووصلت كتيبة جديدة الى الميدان ٠٠ هى الكتيبة السابعة ٠

وصدرت الى الأوامر بأن أسلمها قطاع غزة لأن كتيبتنا كان عليها أن تتقدم الى الأمام وتحتل مركز أسدود ٠

وكنت أشد الناس سعادة بهذه الأوامر ٠

كنا ــ أخيرا ــ سنلتقى بالعدو ، ونخوض معركة ضده ٠

وكنت مرة أخرى ــ سألتقى بعبد الحكيم عامر ، فقد كان هو أركان حـرب الكتيبة التاسعة المحاربة فى أســدود وكنت كأركان حـرب للـكتيبة السادسة سأتسلم منه ــ مرة أخرى ــ المواقع التى تحتلها كتيبته ٠

وقبل أن نتحرك من غزة جاءتنا أوامر غريبة ٠

جاءتنا أشارة استعداد بأن نجهز أنفسنا لنجـدة الجيش الأردنى الذى كان مشتبكا فى معركة بباب الواد ٠

ولم تكن لدينا أى معلومات عن معركة باب الواد ٠٠

وكان مدهشا فى رأيى أن تكون لنا أربع كتائب فى فلسطين ، ثم نتخلى عن واحدة منها ــ ربع الجيش المحـــــارب تماما ــ ونبعث بها الى حيث لا ندرى فى باب الواد !

ولكن الأوامر من حسن الحظ ألغيت ٠

وكنا على استعداد للتحرك ، ومضينا الى حيث كان علينا ن نمضى أولا ٠٠ الى أسدود ٠٠ الى حيث سنلتقى - أخيرا - بالعدو وجها لوجه !!

تحت شـــجرة برتقال !

والتقيت بعبد الحكيم فى أسدود ٠

كان كما تركته لآخر مرة ، ابتسامته التى تبعث على الثقة ، وروحه الطليقة ، وقضينا معا ليلة لا أنساها ٠

كان فراشه فى حفرة فى حديقة برتقال ٠

ووضعت فراشى فى نفس الحفرة على الناحية الأخرى من شجرة البرتقال ٠

ولم ننم طول الليل ٠

كان الجو غريبا مثيرا ٠

كنا فى أقصى المواقع الأمامية قرب العدو ، وكان جهـاز اللاسلكى بجـوار عبد الحكيم ينقل اليه التطورات دقيقة بدقيقة ٠

وعلمت من عبد الحكيم لأول مرة أن هجوما سيقع فى الغـد على مستعمرة نيتساليم وأبديت لعبد الحكيم قلقى من أن يتكرر أمام نيتساليم ما حدث من قبل فى دير سنيد ٠

وبدأ عبد الحكيم يهدىء من قلقى ٠

قال لى انه تعلم دروسا عن دير سنيد ٠

قال لى ان روح الضباط الشبان عالية لدرجة أنه أجرى قرعة بين السرايا لكى يحدد أيها يقع عليها مهمة قيادة الهجوم ، ولكن قائد احـدى السرايا تطوع ورفض اجراء القرعة وكان هو اليوزباشى محمود خليف وكان أحد أفراد تنظيم الضباط الأحرار ٠

وتركنى عبد الحكيم عند الفجر ومضى الى المعركة ٠

وقضيت يوما مشحونا ٠

كان على أن أرتب مواقع كتيبتنا فى مواقعها الجديدة !

وكنت مشغولا فى الوقت نفسه بالذى يجرى أمامنا الى الغرب على الساحل فى نيتساليم وكنت أتسقط أخبار المعركة ٠

وعند العصر جاءتنا الأخبار بأن الكتيبة التاســعة نجحت فى عملها وأنهـا استولت على مستعمرة نيتساليم ٠

وعلمت أن خليف قائد السرية المتقدمة قد استشهد ٠

وعلمت أن عبد الحكيم لم يطاوعه قلبه فمضى مع السريةالمتقدمة وأن شظية أصابته ولكنه سليم بخير ٠

وكانت تلك هى المعركة التى رقى فيها عبد الحـكيم ترقية اسـتثنائية فى الميدان ٠

وقضينا الليلة والعدو يطلق علينا النار ونحن نبادله نيرانا بنيران ٠

ولكن خواطرى لم تكن معى ٠

كانت تحلق فوق أرض الميدان كله ٠

كنت أقول لنفسى :

ـ ها نحن قد نجحنا فى معركة نيتساليم ٠

ان روح الشجاعة لا تنقص ضباطنا وجنودنا اذن ٠

لكن ذلك كان العامل المشجع الوحيد ، وفيما عداه كان الموقف كله يبعث على القلق ٠

كنت بخيالى أطوف الميدان كله فأجد قواتنا المبعثرة يقل تركيزها كلما اقتربت من الخط الأول لملاقاة العدو ٠

كانت منتشرة على مساحات واسعة من الأرض على عددها القليل وكانت كما قلت قد تحولت الى نقط حراسة عليها أن تحمى نفسها ٠

ولم يكن هناك فائض قوات يمكن استخدامه فى هجوم ٠

لم نكن نحارب كجيش ، وانما تحولنا بعد دخول فلسطين الى جماعات متفرقة على مراكز واسعة الانتشار ، وكانت النتيجة أن العدو نجح فى تثبيتنا فيها ، واحتكر لنفسه حق الحركة وحشد القوات والهجوم علينا من حيث يريد٠

وكنت أسأل نفسى وألح فى سؤالها :

ـ لماذا فعل قائدنا ذلك ٠٠ لماذا شتت قواته وبعثرها بهذه الطريقة ٠

ـ لماذا سمح لنفسه أن يندفع فى خط طويل مكشوف من كل ناحية أمام العدو !

على ربوة عالية !

وبدأت أخبار الهدنة تصل الينا فى الخنادق ٠

وجاءتنا الأوامر بوقف القتال فى السادسة صباحا من يوم الجمعة ٠

وعاد الكلام مرة أخرى عن الحرب السياسية ٠

ولكن العدو لم يأخذها حربا سياسية فقبل حلول موعد وقف القتال بساعات تلقيت الأخبار بأن قوات منه قطعت الطريق بين المجدل وأسدود ٠

واستطعنا مع العصر أن نخرج العدو بالقوة من المراكز التى كان يحصنها على طريقنا والتى لو بقى فيها لاستطاع أن يمنع النجدة والمؤن عن قواتنا فى أسدود طوال فترة الهدنة ٠

وقدت سيارة الجيب عند العصر الى حيث الموقع الذى حاول العدو احتلاله ، ورأيت لأول مرة جثث قتلى من جنوده وحولهم ما كان معهم من ذخائر ٠

ووقفت على ربوة عالية قرب هذا الموقع ومرة أخرى بدأت خواطرى تسرح٠

هذا أنا على ربوة عالية فى فلسطين بين المجدل وأسدود ٠

البحر بزرقته الداكنة يمتد الى حافة الأفق جليلا مهيبا ٠

والشمس الحمراء فى موكب الغروب وألوانه الرائعة تهبط وراء البحر .
وبالقرب منى جثث عدو يحاول أن يقتلنا وقد نجحنا فى قتله .

والى الشرق مواقع قواتنا المتناثرة .. التى أدت كل ما طلب منها حتى الآن رغم العقبات التى واجهتها والمصاعب التى سدت طريقها... رغم الجبهة الواسعة ... رغم القوات المشتتة المبعثرة ... رغم الحرب السياسية رغم النار تندفع اليها بلا دروع تحميها !

والى الجنوب مقر قيادتنا التى تعيش فى ميدان القتال وتحارب حربا سياسية

والى الجنوب الشرقى عاصمتنا التى تتحكم فى أمرنا وتوجهنا الى حيث تريد وارادتها اليوم هى حرب ولا حرب .

وهناك بعيدا ... فى نيويورك مجلس الأمن حيث مجموعة من أحد عشر رجلا قرروا فيما بينهم أن تقف المعركة التى نعيش فيها وعلينا أن نطيع .

وملأت رئتى بهواء البحر واستدرت الى سيارتى عبر جثث العدو المبعثرة قرب الطريق وأنا أسأل نفسى :

ـ ماذا بعد ذلك ... ترى ما الذى يخبئه لنا القدر ؟!!

كان حالنا قبل الهدنة حربا ولا حرب !

وبعد أن عقدت الهدنة تطور حالنا الى سلام بغير سلام ..

وكان هناك شعور عام على خطوطنا بأن القتال لن يستأنف مرة أخرى ..

وكان المنبع الذى انبثق منه هذا الشعور دون شك هو خرافة الحرب السياسية!

وما من شك أن ظواهر الأحوال ساعدت هذا الشعور على أن يغمر خنادقنا.

كنا نخوض حربا بلا استعداد ، فى كل ناحية كان يمكن أن يستعد لها جيش يحارب ..

كان قائدنا فى الميدان يخضع من القاهرة لتوجيهات هى آخر ما تقتضيه احتمالات الميدان ..

كان فى نيويورك ـ حيث مجلس الأمن ـ من يملك أن يفرض الصمت على مدافعنا بأشارة من يده !..

وظهر التراخى ـ نتيجة لهذا كله ـ على مواقعنا ، وكنت من مكانى فى أسدود كأركان حرب للكتيبة السادسة أرقب هذه الحال بقلق لا أستطيع أن أخفيه .

وكان الذى يزيد من قلقى أنه فى الوقت الذى يحدث فيه ذلك لناحيتنا من خط القتال .. تضج الناحية الاخرى بما يمكن أن يكون نقيضا له فى كل شىء .

وكان فى أسدود برج عال ، وكنت أصعد الى أعلى البرج أحاول أن أمد بصرى الى الناحية الأخرى ..

لم يكن عليها هدوء .. لم تكن تحكمها هدنة ..

كان النهار يكشف أمامنا حركة متصلة ٠

وكان الليل يفشى أسرارا ، يحاول أصحابها اخفاءها تحت ستار الظلام ٠

وكنت عندما يجيء الليل فى كثير من الأحيان ، أترك مركز رئاسة الكتيبة الذى كان فى مبنى محطة السكة الحديد المصنوع بالأسـمنت المسلح وأتجه الى البرج العـالى ، وأقف هنـاك ساعات متصلة ٠٠ وعيونى متجهـة عبر خطوطنا الهادئة الى الناحية الأخرى ٠٠

كانت أنوار المستعمرات البعيدة ، تبدو واضحة من ارتفاع البرج العالى ٠

وكنت ألمح أنوارا كثيرة متحركة متجهة الى المستعمرات عائدة منها ٠٠

كان الموقف العسكرى كله من فوق البرج العالى ، يبدو أصرح وأجلى ما يكون

كانت أيام القتال بالنسبة لنا حربا ولا حرب ٠

وكانت بالنسبة للعدو حربا فقط ٠

وأصبحت أيام الهدنة بالنسبة لنا ، سلاما ولا سلام !٠٠

ولم تصبح بالنسبة للعدو سلاما قط !

لم يهتفوا للقائد الأعلى !

وكانت الأخبار تصلنى بانتظام عما يجرى فى الناحية الأخرى من الخطوط٠

وكان الموقف على الخريطة أشبه ما يكون بالموقف كما يبـدو من قمة البرج العالى الذى يحمل فنطاس المياه لأسدود ٠

فى أول يوم للهدنة تحرك العدو ، فاحتل عبديس التى كانت قرية عربية تكاد تكون متداخلة مع خطوطنا ٠٠

وتحرك العدو أيضا فاحتل بيت دوراس ٠

وتحرك العدو فاحتل الجسير ٠

وتحرك العدو فاحتل العسلوج ٠

وتحرك العدو فاحتل جوليس ٠

وتحـرك العـدو وحاول أن يدفع بعض قـوافله المتسللة عبر خطوطنا الى المستعمرات المحاصرة فى النقب الجنوبى ٠

العدو اذن لم يأخذ الهدنة جدا ٠٠

لقد كانت بالنسبة له فرصة للتعزيز ٠٠ انه يقفز تحت ستارها الى مواقع حاكمة ، يستطيع منها ، يوم تنتهى الهدنة ، أن يبدأ عملياته من أكثر المراكز ملاءمة لأغراضه ٠

كان الموقف واضحا لا خفاء فيه لمن يكلف خاطره فيلقى نظرة على الخريطة ، أو يتجه بعينيه عبر الناحية الأخرى من خط القتال ٠

ومع ذلك لم يبد فى قيادتنا ما يدل على أنها وعت المعنى الحقيقى الذى يجرى أمامنا ، وكان الذى يشـغلها على ما يبدو فى ذلك الوقت هو اعـداد التقارير

الضافية عما جرى من يوم بدأت المعركة حتى فرضت الهدنة ، وكان أبرز ما اهتمت له قيادتنا وأسهبت في وصف تفاصيله ، هو كيف اقتحم الجنود مستعمرات العدو وهم يهتفون بحياة جلالة القائد الأعلى للجيش ، وهو ما لم يحدث بالقطع ، فان الجنود المهاجمين كان يشغلهم من نيران العدو ما لا يمكن معه أن يخطر ببال واحد منهم أن يهتف لجلالة القائد الأعلى للجيش ..

ماذا نصنع هنا ؟!

ومضت الأيام ..

ومع مضى الأيام كانت همومى تزداد .

لم يكن هناك ما أشكو منه في أسدود فقد كان كل ما نحتاج اليه متوافرا وزيادة .

كنا نعيش وكأننا في معسكر في القاهرة .

كانت الضحكات تملأ خنادقنا ، وكانت النكات تلف المواقع ..

وكانت بعض النكات التى تضحكنا في ذلك الوقت خليقة بأن تبكينا ..

وأذكر ذات يوم أني التقيت بجندى من كتيبتنا وخطر في بالي - دون سبب محدود - أن أوجه اليه سؤالا أحاول أن أعرف من ورائه مدى فهمه للذى نقوم به في فلسطين ..

وقلت له :

- احنا هنا بنناور يا افندى ! ..

وقال الجندى ، ولن أنساها طول عمرى :

- احنا هنا بنناور يا افندى !..

وذهلت وقلت له :

- نناور .. نناور فين ياعسكرى ؟

وقال الجندى بلهجة الذى يقرر حقيقة بدهية :

- في الربيكى يا فندى !..

ومنطقة الربيكى هى المنطقة الواقعة على طريق السويس ، والتى اعتاد الجيش المصرى أن يقوم فيها بمناوراته كل عام !..

كنا اذن نناور في الربيكى ، ولم نكن نحارب في فلسطين !..

أو هكذا كان يعتقد جندى من كتيبتنا !

ولكن هل كنا نستطيع أن نلومه ؟!

أعمق من الثقة والصداقة !

وضقت ذرعا بالبقاء في مركز رياستنا فذهبت أتجول في المواقع وأتعرف الى حقيقة الجو فيها بين الضباط ..

ولا أنكر أنى في حقيقة الأمر كنت أحاول أن أضم بعضهم الى تنظيم الضباط الأحرار ..

ولم أكن أتجه الى الأمر مباشرة في أحاديثي مع الضباط ، فلم أكن أريد أن أشغلهم عن الجو المحيط بهم مباشرة ، ولا أن أشتت أفكارهم عن العدو الرابض أمامهم متربصا بهم · ولكن طريقتي في ذلك الوقت كانت ترتكز عـلى عاملين:

أن أعطى الثقة لكل من أقابلهم ··

والعامل الثانى ، أن أقوى صلتى الشخصية بهم الى أبعد حد ··

وكنت واثقا ـ وبررت التجربة أسباب ثقتى ـ أن الثقة والصداقة كفيلتان عندما يحين الوقت المناسب أن تتحولا الى شىء أعمق ··

وأنا أنظر حولى الآن ، فأجد وجوها كثيرة فى تنظيم الضباط الأحرار التقيت بها لأول مرة فى الخنادق فى تلك الفترة العجيبة من حياتنا فى فلسطين !··

اليقين الضـــائع !

وقاربت الهدنة أن تنتهى ··

وكان لابد لجو التراخى على خطوطنا أن يشعر بالخجل ووخز الضمير ··

وبدأت محاولات لتدريب الجنود ·

ووصلتنا أحاديث عن نجدات سوف تصل الينا تتقدمها قوات مدرعة ··

وانعقدت فى قيادتنا مؤتمرات لبحث الموقف عندما تنتهى الهدنة ··

وتلقت كتيبتنا فى صباح يوم ٢٨ يونيو أمرا انذاريا بالاستعداد للهجـوم فى يوم لم يحدد بعد ·· على هدف لم يحدد أيضا ··

وكان هناك شىء غريب فى هذا كله ، كان مفروضا أن يكون هذا كله جدا ، ولكن شيئا ما ، نبرة خفية فى صوت الحوادث كانت تحمل على الشك ··

كان هذا كله أشبه بالجد ·· ولكن ـ وهذا هو الغريب ـ لم يكن جدا !

فقد كان الشعور بأن الهدنة دائمة ، وبأن القتال لن يستأنف مرة أخرى ، وبأن الحرب كلها مناورة سياسية ، لايزال يملأ خنادقنا ·

وحضرت فى تلك الفترة مؤتمرا فى رئاسة اللواء ·

وأذكر أن شعورا غريبا كان يملأ خواطرى وأنا أجلس الى مائدة الاجتماع فى رئاسة اللواء ·

كان اليقين الكامل ينقص كل ما كان يدبر ويرسم من خطط ··

وخيل الى أننى أرى مسرحا أمامى ·

مسرحا يحاول كل واحد من الواقفين فيه أن يتقن دوره ·· ويبالغ فى رسم معالمه ، ولـكن كل واحـد منهم يدرك أنه مجـــرد دور ، ثم ينتهى ويعـود الى شخصيته الأصلية ·

وكان هذا يتناقض مع روح القتال كما كنت أتصورها ، فان مواجهة المعركة والتدبير لها ليسا مجرد دور يجيد ممثله أو لا يجيد ، أنه حياة وهو وفى كثير من الأحيان موت أيضا !··

ولكن اليقين كان ضائعا ·· ومن هنا اختفت روح القتال الحقيقية ··

وفى يوم ٣٠ يونيو حضرت مؤتمرا حربيا ثانيا فى رئاسة اللواء ..

كنت أحضره كأركان حرب للكتيبة السادسة ، وكان مفروضا أن نتلقى فيه تعليمات قيادتنا عن الخطة المقبلة لقواتنا ساعة تنتهى الهدنة .

كانت الخطة هى القيام بعمليات هجومية على طول الجبهة .

وفى قطاعنا نحن كان الوضع كما يلى :

تتقدم الكتيبة السابعة ـ التى كانت قد وصلت الى الميدان قبل الهدنة بقليل ـ وتستولى على بيت دوراس .

يجىء دورنا نحن ، الكتيبة السادسة ، بعد ذلك مباشرة حين تتقدم الى احتلال الصوافير الغربية والصوافير الشرقية .

ولم يكن مفروضا بالطبع أن أناقش الخطة ، فلم نكن فى المؤتمر لكى نناقش وانما لكى نتلقى الأوامر ، ويكون جوابنا عليها هو السمع والطاعة .

ولكنى لم أستطع أن أمنع عقلى من أن يناقشها ، وان كنت كبحت جماح لسانى عن أن ينطق بكلمة واحدة مما يدور فى رأسى ..

وكان الذى فى رأسى سهلا منطقيا .

هذه الأهداف التى نرسم الخطط للاستيلاء عليها ، كانت يوم الهدنة ـ وقبلها بالطبع ـ خالية تماما من قوات العدو ..

فلماذا سكتت قيادتنا عن احتلالها ؟

لماذا تركت العدو يصنع هذا فى فترة الهدنة ، وأعطته شهرا كاملا لكى يدعم مراكزه فيها ويحصنها .. وبعدها نعود نحن لنهاجم لكى نستولى ..

بل أكثر من ذلك ..

كانت هذه المناطق كلها خالية حتى الى ما بعد أسبوعين من قيام الهدنة ، وكانت دورياتنا تذهب اليها ، وبعض الدوريات كانت تعود من هناك بكميات من العنب الشهى كنا نسميه عنب بيت دوراس . فلماذا لم تكلف واحدة من هذه الدوريات العائدة بالعنب أن تبقى فى بيت دوراس وتحتلها ، وبالتالى تمنع العدو من احتلالها ، وبالتالى أيضا توفر الجهد الذى سنبذله الآن للاستيلاء عليها ؟..

وبمعنى آخر كانت كل هذه المواقع أمامنا لنأخذها بدون قتال ..

ولكن قيادتنا العامة آثرت أن تترك الفرصة السانحة للعدو لكى يستولى هو على هذه المواقع دون قتال ثم يخوض جنودنا معارك حامية لكى يستردوها من يده ..

ـ احنا هنا بنعمل ايه ياعسكرى ؟

وكانت الأفكار تتداعى فى رأسى ، واحدة بعد واحدة ، وأنا جالس فى المؤتمر أسمع ولا أتكلم وفى رأسى ما فيه من خواطر ..

اذن فان قائد العدو هو الذى أخذ المبادأة فى يده ..

واذن فان قائدنا لم يستطع أن يقدر قيمة هذه المواقع فتركها لخصمه ، ثم أحس هو بعد خصمه بقيمها فبدأ يجند الرجال لاستردادها .

ومع ذلك ، قلتها لنفسى ، وأنا أطرح ما فى رأسى كله جانبا : ان المهم الآن هو الواقع الموجود على الطبيعة ، ولنترك ما كان أو ما كان يجب أن يكون !..

محاولات استكشاف !

وعدت الى كتيبتى بعد المؤتمر فى ذلك اليوم وقلبى تملؤه الأحلام ..

كيفما كانت الأحوال المحيطة بنا ، فيجب أن نقف على أقدامنا ونخوض معركة مجيدة ..

كنت أريد أن أفعل كل شىء من أجل كتيبتى !..

كنت أريدها أن تضرب مثلا فى الميدان لغيرها من الكتائب ، وكنت أحس على أى حال أكثر من غيرى ، بالمصاعب النفسية التى تعيش فيها الكتيبة .

كانت الكتيبة مازالت تعانى آثار التجربة التى واجهتها أمام الدنجور ..

وصممت فيما بينى وبين نفسى أن نتلافى كل الأخطاء ، وأن نحسب كل العوامل ، حتى لا يتكرر الذى حدث فى معركة الدنجور .

وفى صباح أول يوليو ، والهدنة مازالت تحكم أرض العمليات ، خرجت مع قائد الكتيبة وزملائنا من الضباط الذين ستقع عليهم مسئولية العمل ، لكى نستكشف بعيوننا الميدان الذى سنحارب فيه .

ولكن الاستكشاف لم يكن سهلا كما تصورنا ، فاننا لم نستطع على الاطلاق أن نلقى نظرة واحدة على الصوافير الشرقية أو الغربية ..

وكان السبب أن التبة العالية الممتدة أمامنا تخفى الصوافير تماما عن أنظارنا ولم يكن فى استطاعتنا أن نصعد على التبة العالية ونلقى نظرة من فوقها ، لأن بيت دوراس التى يحتلها العدو كانت ترتكز فوقها من ناحية ، ومن الناحية الأخرى كانت ترتكز على معسكر جوليس الذى يحتله العدو أيضا ..

وكان من رأيى أنه لابد أن تكون لدينا معلومات عن الهدف الذى ننوى أن نحارب من أجله ، وأن تكون هذه المعلومات مفصلة ، والا تكررت كارثة الدنجور !..

وخرجت فى اليوم التالى ، ومعى ضابطان ، أولهما ضابط مخابرات الكتيبة ، والثانى هو الملازم أول اسماعيل محيى الدين ضابط فصيلة الحمالات .

وكان معنا اثنان من الجاويشية ..

أولهما الجاويش عبد الفتاح شرف الدين ، الذى لايزال حتى الآن صول شرف فى القوات المسلحة ، والذى اعتبره أكثر الناس بلاء فى فلسطين ..

وثانيهما الجاويش عبد الحكيم ، وهو الآن يعمل سائقا فى المنيا ، وقد زرتها منذ شهور قليلة ، وكان من أمانى أن التقى فيها بعبد الحكيم .

ليست قصة مغامرة !

كان يخالجنى شعور بأن الاستيلاء على الصوافير سيكون عملية سهلة .

ولست أدرى لماذا كنت أشعر شعورا خفيا بأن قوات العدو فيها ليست مما يخشى خطره ..

وعلى أى حال فها نحن فى الطريق لكى نرى بأنفسنا ونستكشف .

وتركنا سيارتى الجيب اللتين كنا نركبهما ، ثم بدأنا المرحلة الخطيرة من رحلتنا داخل مواقع العدو ..

كنا نخترق أرضا كلها حدائق ، وكنا نتسلل فى صمت بين الأشجار ..

كان اسماعيل محيى الدين ـ يرحمه الله فقد استشهد بعدها بقليل ـ يسير فى المقدمة .

وكنت بعده وبجوارى ضابط المخابرات .

وكان عبد الفتاح وعبد الحكيم يسيران على جانبنا وفى يد كل منهما مدفعه المتأهب لقذف النار .

ولست أريد أن أمضى فى تفاصيل الخطر الذى كان يحيط بنا ، فان ما أرويه هنا هو قصة جيش ، وليست قصة مغامرة ..

والمهم على أى حال اننا استطعنا الوصول الى موقع متقدم يقع وسط خطوط العدو ، ولقد بدت لأعيننا الصوافير الشرقية والصوافير الغربية .

دليل من الكروم الناضجة

وقضينا نصف يوم نملأ عيوننا مما حولنا ..

تأملت كل نقطة فى الصوافير ، ودرست احتمالاتها .

وقام ضابط المخابرات برسم تخطيط كامل لمنطقة معسكر جوليس وما يحيط به من تحصينات .

ولقد وجدت ما يعزز رأيى الذى سبق أن كونته عن قوات العدو فى الصوافير .

لابد أن عددها كان قليلا كما توقعت .. كان كل شىء حولى يؤيد هذا الرأى ، حتى أشجار الكرم المثقلة بما كانت تحمله من عنب ناضج ، فلو أن قوات

الصوافير كانت جموعا كبيرة ، لما تركت منطقة الحـدائق التى كنا فيها خالية ، ولما تركت هذا العنب الناضج الحلو مدلى من شجرة ..

ولم يطل استمتاعنا بالعنب على أى حال .. فلقد لمحنا احدى دوريات العدو متجهة الى موقع النبى صالح ، حيث تركنا سيارتينا ..
وهكذا بدأنا نتسلل عائدين !..

وعدنا فى اليوم التالى الى منطقة النبى صالح واكتفينا بالوصـول اليها فلم تكن بنا حاجة الى مغامرات الأمس ، وفى هذه المرة كان معنا قائد الكتيبة وقـواد السرايا ، فقد أردت أن يرى كل منهم على الطبيعة دوره فى العملية ، وكان فى رأيى أن هذا يحقق غرضين :

الأول أن ترتفع روح الكتيبة المعنوية بأن تدرك تفوقها على العدو الذى يعلم كل شىء عنه وعن مواقعه قبل مهاجمته .

والثانى أن تحقق الـكتيبة من وراء ذلك نصرا يرفع اسـمها بين الـكتائب المحاربة فى الميدان ..

ســوء الحظ يتدخــل !

وفى يوم ٦ يوليو كنت أستطيع أن أفاخر بأنه ما من كتيبة من الـكتائب المتأهبة للعمل فور انتهاء الهدنة تعرف دورها مثل كتيبتنا ..
كان كل واحد من ضباط الكتيبة يعرف عمله .
وكنا جميعا على استعداد ..

كل الذى ننتظره أن تتحرك الكتيبة السابعة قبلنا فتحقق غرضها بالاستيلاء على بيت دوراس ، وفى أعقابها نتقدم نحن الى الصوافير !..

ولكن الأمور لم تسر على النحو الذى أعددنا أنفسنا له ، فان الكتيبة السابعة لم تستطع أن تقوم بدورها فى الخطة .

ولم يكن الذنب ذنب الـكتيبة ، وانما جاءت الـكارثة من مهزلة صـنعها سـوء الحظ .

كان المفروض أن تتقدم قوة سودانية وتقوم بهجـوم ليلى على بيت دوراس وتقتحم مواقعها بالليل معتمدة على المفاجأة .

وكان على القوة أن تطلق اشارة ضوئية خضراء اذا نجحت مهمتها وحينئذ تتقدم الكتيبة السابعة فى أعقابها لتدعم وتعزز .

أما اذا لم تستطع القوة السودانية أن تتم اقتحامها فعليها أن تطلق اشارة ضـوء حمراء وتبتعد قليلا عن بيت دوراس لأن الخطة فى هـذه الحالة أن تركز مدفعية الميدان الثقيلة كل نيرانها على بيت دوراس .

ونجحت القوة السودانية فى اقتحامها ·
ولـكن الفشل كان يدخـر جهده حتى اللحظة التى تطلق فيها الأشارة التى تنتظرها الكتيبة السابعة ·
كان مفروضا أن تنطلق من السماء المظلمة أشارة خضراء ·
ولكن الجندى المكلف باطلاق الأشارة استعمل طلقة حمراء ·
وحين ارتفعت الأشارة الحمراء فى ظلام الليل بدأت مدفعية الميدان كلها على الفور تدق مواقع بيت دوراس التى تحتلها القوة السودانية ·
وفشلت المعركة طبعا ·
فقد انسحبت القوة السودانية مسرعة ولما هدأ ضرب المدفعية عاد العدو الى احتلال بيت دوراس من جديد !

اللقمة تتحجـر فى حلقى !

وكنا نحن فى الكتيبة السادسة نكاد نجن لهذا الذى حدث ·
كان معناه بالنسبة لنا أن تضيع الفرصـة التى أعـددنا أنفسنا لها وتضيع معهـا الآمال التى منينا أنفسنا بها ·· ومعها كل ما بذلنـا من جهـد وأعـددنا من خطط ·
ولم يكن هناك ما نستطيع عمله الا أن ننتظر التطورات المحتملة ، وندعو الله أن تسنح لنا خلالها فرصة فنصنع الذى أعددنا كل شىء لـكى نصنعه !
وفجأة تطورت الأمور تطورا لم أكن أتوقعه ·
وأعترف فيما بينى وبين نفسى ، وقد مضى على ذلك الوقت حتى الآن مايقرب من ست سنوات ، اننى لأول مرة وأنا فى الميدان رفعت صوتى محتجا ضـد أمر صدر من قيادتى ·
كنـا يوم ٩ يوليو
وكنا جالسين للغداء فى مركز رياسة كتيبتنا ·
ودخـل جاويش يحمـل مظروفا من رياســة اللواء عليه اسـمى بوصفى أركان حرب للكتيبة السادسة ·
وفتحت المظروف وأنا على الغداء وبدأت عيناى تجريان على سطوره ·
وفجأة أحسست أن الطعام تحجر فى حلقى !
كان الخطاب يحوى سطرين هما :
١ ـ تسلم الـكتيبة السادسة مواقعها اليوم الى الـكتيبة الخامسة المتقدمة من غـزة ·
٢ ـ تستولى الكتيبة السادسة باكر ١٠ يوليو على بلدة جوليس ·
ولابد أن ملامح وجهى فضحت ما كان يدور فى نفسى وأنا أقرأ هـذا الأمر فان كل من كان معنا على الغداء من الضباط توقفوا عن الطعـام وتطلعوا الى ·· وكأن شعورهم مثل شعورى بعد أن عرفوا ما عرفت !!

ها نحن نوجه الى معركة لم نعد أنفسنا لها ٠
لم يقل لنا أحد ما هي مواقع جـوليس وما هي قـوة العـدو فيها ، وما هي تحصيناته ، وماهي قواتنا التى تعمل حولها ، وما هي العمليات المحيطة بمنطقتها !
ولم يعطنا أحد الفرصة لندرس غرضنا مثل ما فعلنا في الصوافير ٠
وأحسست أنه بالرغم من ارادتى ، وتحت سمعى وبصرى ، توضع الكتيبة مرة أخرى فى نفس ظروف الدنجور دون أن يكون بيدى ما أصنعه !
وبدأت أحتج ٠
ولكن ماذا يجدى احتجاجى !

سباق مع الشمس !

كان الوقت كالسيف المصلت على أعناقنا ٠
كان باقيا على غروب الشمس ثلاث ساعات هى آخر ما تبقى لنا من أمل لكى نخرج فى الضوء ونلقى نظرة على الهدف أمامنا ٠
وخرجت مع القائد وقواد السرايا نحـاول أن نقترب من جوليس الى أقرب ما يمكن أن نصل اليه ٠
واقتربنا فى حمى احـدى بيارات البرتقال حتى أصبح بيننا وبين جوليس ما يقرب من كيلو متر واحد ٠
ولم نستطع أن نبقى طويلا ٠
فان العدو على ما يبدو أحس بوجودنا فبدأ يغتش المنطقة بقنابل الهاون ٠
ومن ناحية أخرى كان النهار يجرى بأسرع ما رأيت النهار يجرى فى حياتى وبدأت الشمس ترتمى فى أحضان الغروب !
ولم يكن مفر من أن نعود ٠٠ وعدنا !

كلام كلية أركان الحرب !٠٠

وجلست بعد عودتنا الى مركز الرئاسة أضع الخطة ٠
لقد أحس العدو اننا قمنا بالاستكشاف من ناحية بيارة البرتقال ، وسوف ينتظرنا فى الغد لـكى نهاجمه منها بالطبع ٠
واذن فلن يكون هجومنا الرئسى غدا من هذا الاتجاه ٠
سوف نبعث قوة تطلق النار لكى يظن العدو اننا وقعنا فى الشرك ، ولـكن القـوة الحقيقية التى ستنفذ الهجوم سـوف تجىء من الخلف وسط مزارع الذرة وتنقض عـلى مواقعه ٠
ووقع الخلاف بينى وبين قائد الكتيبة على دور المدفعية والطيران فى المعركة٠
كنت كضابط أركان حرب أومن بالعمل المرتب الموقوت بجداول محددة ٠
ورأى القائد أن يترك اليه أمر توجيه المدفعية والطيران حسبما يرى حاجة على الطبيعة عند المعركة ٠



الفريق فوزية ، واللواء فايزة
ساهمت أسرة فاروق بمنح هذه الرتب لبعض السيدات

ولم أكن أومن بهذه الطريقة ولـكن لم يكن أمامى ما أفعله بعد أن قال لى القائد :

ـ وحياتك يا أخويا بلاش الكلام بتاع كلية أركان حرب ده !

وبدأ الصباح يطلع على أرض المعركة ٠٠ وعلى المعركة نفسها ٠

كانت البداية كما أردت وتمنيت ٠

ولـكن الباقى ، كل ما جاء بعد البداية ، لم يسر ، لا كما أردت ولا كما تمنيت !

وكانت أولى الخطوات على الطريق الذى لم أرده ولا تمنيته من قائد الـكتيبة فقد قال لى فجأة وهو يراقب عمليات المشاة :

ـ احنا بنعمل ايه هنا ٠٠ ياللا نشوف عساكرنا تحت !

وكانت تلك فى تقديرى روحا طيبة ، ولكنها كانت خروجا على العمل الذى يجب أن يقوم به القائد ٠

ان مهمة القائد أن يمسك العملية كلها حتى لا تفلت ، ولكن مهمته ليست أن يترك الزمام ويجرى الى التفاصيل ويشغل نفسه بها وينسى قيادته المرجوة ساعة الخطر ٠

وحاولت أن أقنعه برأيى ولكن الحماسة كانت قد ركبته !

ونزلنا الى حيث كان جنود المشاة ولـكننا لم نستطع أن نصل فقد غرزت سيارتنا على الطريق ولم تستطع أن تشق سبيلها ٠

ونزلنا ، القائد وأنا ، وحراسه ندفع السيارة من حيث عجزت عن الحركة ٠

وأحسست انى أفقد أعصابى ٠٠ بنفس الطريقة التى أحسست اننا نفقد بها المعركة !!

لم نبق فى مركز القيادة حيث كان فى الامكان توجيه المدفعية وتوجيه الطيران ولم نصل الى جنود المشاة الهاجمين على مواقع العدو ٠

◆ ◆ ◆

وعندما وصلنا الى مشاتنا الهاجمين ٠٠ بدأ قائد الـكتيبة الطيب يفقد أعصابه لقد التفت الرجل فوجد جنوده يتساقطون من حوله ٠٠ بعضهم يقتل وبعضهم يجرح وبدأ الرجل يصيح كالثور الهائج :

ـ العساكر بيموتوا !

واقترحت عليه أن نتجه الى الناحية الأخرى لنرى كيف تسير العملية ، وذهب معى وكان أول ما قابلنا أربعة من مدافع الهاون تنتظر دورها فى المعركة واذا القائد يصرخ قائلا :

ـ المدافع دى بتعمل ايه هنا ؟!

ثم اذا هو يصدر أمره بأن تتقدم المدافع الأربعة ، لكى تتمكن من ضرب جوليس واذا هو يلتفت الى ـ أنا أركان حرب الكتيبة ـ ويقول لى :

ـ اطلع معاهم ! !



الكونت برنادوت
وسيط هيئة الأمم الأول الذى اغتاله اليهود
لأنه أراد أن يسلم صحراء النقب للعرب

ونظرت اليه فى دهشة

لقد كانت مهمتى كأركان حــرب للـكتيبة أن أبقى معــه أساعده فى ادارة العملية وتنفيذ الخطة التى رسمتها ٠٠ وكان فى رأيى أن قيــادة العملية بأكملها قيادة صحيحة أهم ألف مرة من مظاهرة شجاعة أخرج فيها بأربعة مدافع هاون٠

وكان الموقف حساسا ٠

ولم أكن أريد أن أعارض قائد الـكتيبة فى رأيه حتى لا يتصور الرجــل أن معارضتى له لا تخرج من عقلى وانما تصدر من أعصابى ٠

ونظرت له ، وفى نفسى ما فيها وقلت له كلمة واحدة :

ـ حاضر !

وانطلقت مع المدافع الأربعة وسط حقول الذرة الى أن أصـــبحت جوليس فى تنـــاول مرماها !

دموعى تهطل بحـرقة !!

وبدأت مدافع الهاون تطلق قنابلها ، ولـكننى لم أكن أسمع الدوى ، فقــد كنت أتصور حال الكتيبة التى أفلت زمامها ٠

واحسست أن قلبى يتمرد على ، وعقلى يتمرد على قائدى ، وكنت مطمئنا الى وضـــع مدافع الهــاون فقـــررت أن أعــود لـكى أحاول أن أمسك الزمــام قبل أن تقع كارثة ٠

وقال لى أول ضــابط لقيتــه بعــد أن خــرجت من حقول الذرة ان اسماعيل محيى الدين قد قتل ٠

ولست أظن أن من حقى أن أخفى اليوم مشاعرى الانسانية ٠

انى أعترف انى لحظتها فقدت السيطرة على عواطفى واذا دموعى تفلت ، واذا أنا أبكى بحرقة لم أشعر بها من قبل فى حياتى ٠

كنت أبكى على زميل سلاح شجاع سقط فى المعركة ٠

وكنت أبكى على المعركة نفسها وزمامها فى يد الريح ٠

ووصلت الى مركز الرياسة ولم يكن فيه أحد ٠

وسألت عن القائد واذا هو خرج الى حيث لا يعرف أحـــد ، وبدأت أطالع فى لهفة الاشارات التى تلقتها الرياسة من سراياها المبعثرة فى الميدان ٠

واحدة منها تقول :

« وصلنا الى الغرض ٠٠٠ ما هى أوامركم ؟ »

وثانية تقول :

« نحتاج الى ذخيرة » ٠٠

« وصلنا الى الغرض ... ارسلوا حمالات لنقل الجرحى ! »
وكانت الكارثة ، انها كلها اشارات يعود ارسالها الى وقت مضى ..

فما الذى جرى لهذه السرايا فى مواقعهـا ، وكيف واجهت الموقف وحدها وقيادتها لا ترد عليها .

وحاولت أن أواجه الموقف بقدر ما أستطيع ..

وحاولت أيضا أن أتصل بقواتنا الموجودة غرب جوليس ولكن هذه القوات لم تكن ترد على اشاراتنا لها ..

ثم فهمت السر حين وصل أحد راكبى الموتوسيكلات يقول :

« ان القائد أصدر أمره بسحب القوة الموجودة الى الغرب ، وهو يطلب منى أن أسحب القوات المهاجمة من الجنوب » ..

ولكن كيف أسحبها ؟!

لقد سحب القـائد القوة التى كانت تضلل العـدو عنا دون اخطارى أو اخطارها ..

وبدأت أرى بوضوح أن كارثة تحلق فوق رؤوسنا ، وكان الذى يحز فى نفسى أن القوة المتقدمة من الجنود للهجوم الأصلى كانت تشق طريقها بنجاح .

وفعلت ما كنت مترددا فى عمله طول الوقت ..

تخطيت قائدى المبـاشر ، قائد الكتيبة واتصلت بقـائد اللواء أشرح له الموقف ..

وعلى أى حال فقد تحول هدفنا بعد ذلك من محاولة الاستيلاء على جوليس الى عملية يائسة لانقاذ قواتنا من الفخ الذى كادت تسقط فيه !

معجزة معك ...

وقضيت ليلة حزينة ..

أحسست أن كتيبتنا قد فقدت روحها المعنوية ..

وأحسست أن روحها العسكرية تفترسها الشكوك وأنها بالتالى لم تصبح سهلة القياد ..

وفى الصباح جاءنا أمر من رئاسة اللواء :

« قائد الكتيبة السادسة يسلمها الى قائدها الثانى وينزل هو القاهرة » .

ومن قلبى أحسست بالرثاء للقائد الجديد ..

ولكن شعورى لم يدم طويلا فقد وصلنا أمر آخر بعد ساعة واحـدة نصه كما يلى :

« تقوم الكتيبة السادسة باحتلال جوليس اليوم » ..
وكان رأيى أن هذا مستحيل ..
وكان القائد الجديد مترددا !

كان مقتنعا بما شرحته له عن الروح المعنـوية فى الكتيبة ، وعن حالتها ، ولكنه كان مترددا فى أن يأخذ برأيى ويعترض على هذا الأمر حتى لا يقـال أن أول عمل له بعد أن أصبح قائدا للكتيبة هو خوفه من أن يخوض بها معركة ٠

وقلت له :

ـ ليس أمامك خيار ولن تفقد شيئا على أى حال ٠٠ اذا اعترضت فقد يكون هناك احتمال بنقلك من قيادتك وهو مجرد احتمال ٠٠

واذا أطعت فان النصر مستحيل وسوف تنقل من قيادتك تلاحقك الهزيمة وهو أمر محقق ٠٠

واقتنع القائد بمنطقى وقال لى :

ـ تجىء معى الى القيادة العامة ؟٠٠

وقلت له :

ـ أجىء معك ٠٠

مجرد صدفة ! ٠٠٠

وبينما نحن ندخل رئاسة القوات بعدها بساعة واحدة لقيت غرفة على بابها لافتة باسم : مكتب المساعدة الجوية ٠٠

ومررت عليهم أسألهم ان كان عندهم معلومات عن جوليس ،واذا ضابط فى المكتب يقول لى :

ـ عندنا مجموعة من الصور الكاملة للمنطقة من الجو ٠٠

وسألته : هل أستطيع أن أراها ؟٠٠

ووضع الضابط أمامى مجموعة كاملة ٠٠

وبدأت أتأمل الصور واذا أنا أكتشف حقيقة عجيبة ٠٠

ان جوليس نفسها الواقعة فى سفح التبة ليست لهـا أى قيمة ، والمهم هو معسكر جوليس القابع فوقها على قمة التبة ٠٠

ولو فرض ونجحنا فى دخول جوليس لـكان معسكرها من فوق القمة قد صنع منها مصيدة ومقبرة فى نفس الوقت لقواتنا ٠٠

وبعد مناقشة قصيرة اعتمدت على صور عثرت عليها بمحض الصدفة اقتنعت القيادة العامة لنـا بأن الاستيلاء على جوليس كارثة من حسن حظنا أن نعـدل عنها ٠٠

وعدت الى مركز رياستنا وخواطرى ثائرة على كل شىء ٠٠

ثائرة على أنه بمحض الصدفة فقط نجونا من كارثة محققة !٠٠

ثائرة على معلومات قيمة تضمها صـور التقطها الطيران فوق هـدف كنا سنهاجمه ومع ذلك فما من أحد فكر فى ارسالها الينا ٠٠

ثائرة على الذقون الحليقة الناعمة ، والمكاتب المريحة المرتبة فى مبنى القيادة العامة ، ولا أحد فيها يدرى بماذا تحس القوات المحاربة فى الخنادق ، ولا مدى ما تعانيه من الأوامر التى تصدر اليها بغير حساب ٠٠

ومع ذلك فلم تكن هناك فائدة ترجى من هذه الثورة ..

وكان الأولى والأجدى أن أدخر أعصابى للمعركة الجديدة التى لم تلبث أن وصلتنا الأوامر بالاستعداد لها ..

سوف أذهب معك ! ...

وكانت المعركة الجديدة نموذجا صادقا لكل ما خاضته كتيبتنا حتى الآن من معارك ..

كانت هى الأخرى معركة على خريطة ..

أحدهم فى القيادة العامة نظر الى خريطة ملونة وأحس ـ وبيده الحق فى هذا الاحساس ـ أن لهذا الموقع أهمية قصوى فوضع اصبعه عليه وأرسل الينا أمرا باحتلاله ..

ولكنه لم يبعث لنا مع الأمر بشىء يساعدنا على التنفيذ ..

ولم تكن تلك التى تصلنا من قيادتنا العامة أوامر عمليات ، ولقد كنت أسميها قصاصات ورق وما أظن أننى أخطأت كثيرا فى هذه التسمية ..

كان الموقع الجديد الذى يتعين علينا احتلاله لقطع مواصلات مجموعة المستعمرات الحاكمة على مدخل النقب مكشوفا بطريقة مروعة أمام نيران مستعمرات نجبا ، وكذلك كان الطريق المؤدى اليه من أوله الى آخره ..

وجاءنى قائد السرية التى كان عليها أن تذهب لاحتلال الموقع يقول لى :

ـ هذه العملية بلاهة وجنون !..

وكنت فى ضميرى مقتنعا بأن الذى يقوله لا يبتعد كثيرا عن الحقيقة ، ولكننى كنت فى نفس الوقت أشعر بالأهمية الخطيرة المعلقة على تقاطع الطرق ، فان عملية الاستيلاء على مستعمرة نجبا رسمت خطتها كلها على أساس احتلال هذا الموقع .

وقلت لقائد السرية :

ـ سوف أذهب معك ..

وخرجت معه ومع قوته وكانت الساعة الثالثة صباحا ..

وعندما طلعت شمس الصباح كنا نحتل تقاطع الطرق ، وكان جنودنا يحفرون عليه مواقع يكمنون فيها ، وكان ثباتهم رائعا رغم النار المركزة عليهم !

موقف خفى ! ...

وبدأت معركة نجبا ، وكانت السرية فى مواقعها رابضة فى غير حاجة الى ، وقررت أن أعود الى المعركة ..

والتقيت عنـــد نهاية الطـــريق المكشوف بأركان حرب اللواء وكان قادما ليستطلع الموقف ..

ودهش أركان حرب اللواء فلم يـكن يتصور أن الطريق الى مركز تقـاطع الطرق مكشوفا الى هذا الحد ، ولم يكن هناك مفر من أن يركب حمـالة مصفحة اذا أراد أن يعبر الطريق فى وضح النهار ..

وعدت معه فى الحمالة المصفحة ..

وقررنا العودة بعـد قليل ، ثم وقعت حادثة من تلك الحوادث التى يتفنن القدر فى حبك مواقفها ..

سمعنا ضربا قريبا منا فى حقل ذرة ..

وقال لى أركان حرب اللواء :

ـ هذا الذى يضرب قريبا منا .. هل يعتقد أن الدنيا خالية أمامه ..

ثم اقترح قائد اللواء أن ننزل حقل الذرة بالحمالة المصفحة نطارد الضاربين عن قرب فى جوار مواقعنا ..

وهبطت الحمالة الى حقل الذرة وتجولت فيـه واذا بالسكون يسود ، واذا الطلقات التى كانت تئز من داخله تلوذ بالصمت ..

وتجولنا هنا وهناك وسط حقل الذرة ولا حس ولا خبر ..

ولم يكن هناك ما يبرر أن نضيع وقتا أكثر مما أضعنا فى حقـــل الذرة فبدأت الحمالة تدور حول نفسها عائدة الى الطريق ..

وكانت هنـاك لحظة خطيرة كنت أعمـل حسـابها وأحسست بهاتف خفى يحذرنى منها .. هـــذه اللحظة هى الثانية التى تعود الحمـــالة فيها فتصعد بمقدمتها على الطريق المرتفع من حقل الذرة فان سطح الحمالة كله فى هـــذه الثانية سيكون معرضا مكشوفا أمام حقل الذرة ؟

ولم يكن الهاتف الخفى .. وهما .. وان كنت لا أعرف على وجـه التحقيق ما هو !

فى نفس الثانية التى انكشف فيها سطح الحمالة وهى ترتفع الى الطريق انطلقت المدافع الصامتة من حقل الذرة .

وفجأة أحسست بشعور غريب فى صدرى .

شىء ما صدمه صدمة خفيفة .

والتفت فوجدت صدرى كله غارقا بالدماء !

وأدركت على الفور اننى أصبت ... دخلت طلقة فى صدرى ناحية القلب.

وأخـرجت منديلى من جيبى أحاول أن أوقف النزيف وروحى كلها يملؤها شعور غريب .

لم أكن خائفا ، ولم أكن نادما ، ولم أكن حزينا .

كان كيانى كله سؤالا واحدا :

ـ أهى النهاية ؟

ولم أجزع لهذا السؤال ٠

ولست أدرى لماذا ذكرت لأول مرة منذ جئت الى فلسطين ، ابنتى هدى ومنى ، وذكرت بيتى ، وذكرت أسرتى ٠

كيف سيكون وقع النبأ عليهم ؟

وفجأة ذكرت جنودى أيضا :

كيف ستسير المعركة من غيرى ؟

ماذا سيقول كل منهم عندما يصله الخبر ؟

وكانت فى قلبى سكينة عجيبة وكان فى روحى رضاء وصفاء ٠

والتفت الى أركان حرب اللواء الجالس بجوارى يحاول أن يصنع أى شيء وكل شيء من أجلى قلت له :

ـ اشعل لى سيجارة !

وأمسكت السيجارة بيدى واليد الأخرى مازالت تحاول أن توقف سيل الدم المتدفق من صدرى ، وجذبت نفسا طويلا عميقا وتنهدت وأنا أغمض عينى وكانت الحمالة تجرى بى مسرعة الى مستشفى المجدل ٠

ومرت أمام ذاكرتى ، وعيناى مغمضتان وفى احدى يدى سيجارة ، وفى الثانية منديل أحاول أن أوقف به نزيف الدم المتدفق من أثر رصاصة دخلت فيه ٠٠ مرت مشاهد كثيرة من الماضى كأنها شريط من الرؤى المتدافعة بعضها وراء بعض ٠٠٠ الأحلام والآمال ٠٠ الطفولة والصبا والشباب ٠٠٠ الأسرة والبيت وابنتى تلعبان فى حجراته ٠٠٠ تنظيم الضباط الأحرار والخطر المحيط به ٠٠ تجربة الميدان ومتاعبها وأهوالها ٠٠٠ جنودنا وضباطنا والأعمال التى قاموا بها حتى الآن رغم كل ما أحاط بهم ٠

وفتحت عينى مرة أخرى ٠٠٠ وجذبت نفسا طويلا عميقا من السيجارة المشتعلة فى يدى ٠٠٠ وكانت الحمالة لاتزال تكر على الطريق متجهة بى الى المستشفى !

نظرت الى الطبيب الذى فحصنى بعد أن وصلت الى مستشفى المجدل فى دهشة ، وأنا لا أكاد أصدقه فيما يقول !

لقد كان تحليله لظروف الرصاصة التى أصابت صدرى أغرب من أن يقبل بسهولة !

كنت قد دخلت عليه ، وأنا واثق ، من موضع الاصابة ، ومن نزيف الدم من صدرى ، ان الجرح نافذ ، وأن الرصاصة وصلت الى حدود القلب ٠

ورفعت منديلى الغارق بالدماء ، والذى كنت أحاول به أن أقف الدم المتدفق من صدرى ونظرت الى الطبيب وقلت له :

ـ صارحني بالحقيقة ولا تتردد !

وبدأ الطبيب يفحص الجرح وهـو يهز رأسـه بطريقة لم أستطع ادراك مدلولها ٠

وبدأت أتعجل سماع رأيه فقلت له :

ـ أهو جرح نافذ ؟

وابتسم الطبيب وهو ما يزال يهز رأسه ، ثم قال :

ـ اعذرني ٠٠ فاننا لا نرى مثل هذه الحالة كل يوم !

ثم سألني :

ـ هل تعرف ما حدث لك ؟

قلت :

ـ أعرف أهم ما فيه على الأقل ٠٠٠ لقد أصابتني رصاصة في صدري ؟

قال :

ـ هذا صحيح ٠٠ ولكن هل تعرف كيف أصابتك ؟

وقلت له وقد بدأت أضيق بهذه المناقشة :

ـ كما يصيب الرصاص أي واحد من الناس ؟

وهز الطبيب رأسه ينفي نفيا قاطعا وقال :

ـ لا ٠٠٠ لقد أصابتك رصاصة ، ولـكن بطريقة تختلف عن اصابة بقية الناس بالرصاص ٠٠ ان الطلقة التي أصابتك اصطدمت بالجدار المصفح للحمالة التي كنت تركبها فحـدث لها شيء غريب لا يحـدث عادة للرصاص ٠٠ لقد انفصلت الرصاصة نفسها عن غلافها المعدني ٠٠ وطاشت الرصاصة عنك ، أما الذي دخل الى صدرك فكان غلافها المعدني فقط ٠

واستلقيت أمام الطبيب على مائدة العمليات وبدأت مشـارطه تجري حول مكان الاصابة وبعـد عشر دقائق قال لي وهـو يناولني قطعا من شظايا النيكل الممزق :

ـ خذ احتفظ بها ٠

وأمسكت الشظايا الممزقة التي كانت مستقرة في صـدري ووضعتها في راحة يدي ورحت أتأملها ٠٠٠

وحين سألت نفسي :

ـ ماذا كان يمكن أن يحـدث لو أن الأمر جـرى عـلى العكس ٠٠ لو أن الرصاصة حينما اصطدمت بالجدار المصفح للحمالة وانفصلت ، كان الغلاف هو الذي طاش وكانت الرصاصة نفسها هي التي اتجهت الى صدري ؟

حين سألت نفسي هذا السؤال ، وجدت روحي كلها أقرب ما تكون الى الله وأنا أغمغم في سري :

الحمد لله !

صيام من كتيبتى !

كان مستشفى المجدل كله خاليا الا منى ٠

كنت حين وصلت اليه فى الصباح النزيل الوحيد فى كل عنابره ٠

ولقد كان أول ما خطر الى ذهنى بعد أن عرفت حقيقة اصابتى ٠٠ أننى لم آكل شيئا منذ وقت طويل ٠

وطلبت فنجانا من الشاى الساخن ، أخذت أحتسيه بهدوء ، وعقلى ما زال يدور حول الطريقة الغريبة التى نجوت بها ٠

وأحسست بعد فنجان الشاى أن شهيتى قد تفتحت وأننى أشعر بالجوع كما لم أشعر به أبدا ٠

وطلبت طعاما ٠

وتلقيت صدمة حياتى لما قيل لى :

ـ ليس عندنا طعام !

وقلت بدهشة :

ـ كيف ٠٠ اننى جائع ؟

ـ وقيل لى :

ـ ان المفروض أن تبعث اليك كتيبتك بطعامك الى هنا !

ونظرت الى الذى قالها لى وقلت له مستنكرا :

ـ كتيبتى ؟!

وعدت أكرر مرة أخرى :

ـ كتيبتى ؟! كتيبتى ؟!

ثم نظرت اليه أقول :

ـ أين هى كتيبتى ؟

وقفز الى خيالى ، والى أعصابى ، فجأة احساسى بكتيبتى ٠٠ أين هى ؟

لقد تركتها لآخر مرة منذ ساعات قليلة فى وضع لا تحسد عليه ٠

تركتها مشتتة على مواقع مفتوحة مكشوفة ٠

تركتها وقد أصدرت اليها قيادتنا أمرا بأن تدخل وسط العدو لكى تحاصره ٠

وهززت رأسى والصورة الكاملة للحالة التى تركت عليها كتيبتى تملأ وجدانى ، وعدت أقول وكأننى أكلم نفسى بصوت عال :

ـ نعم هذا هو الذى فعلوه تماما ٠٠ قالوا لنا ادخلوا وسط العدو لكى تحاصروه ، ولكن كيف نحاصره وهو يحيط بنا من كل جانب ؟

لقد حدث ما كان يجب أن يحدث !

حينما أصبحنا وسط قوات العدو ، أصبحت قواته هى التى تحاصرنا ولسنا نحن الذين نحاصر قواته ٠

ولـكن كيف كان يمكن أن ندخـل فى وسطه ونصبح مع ذلك نحن الذين نحاصره ؟

نعم ‥ كيف ؟‥ كيف فكروا فى ذلك !

وأفقت من خـواطرى على صـوت الذى طلبت منه الطعـام فى مستشفى المجدل وهو يقول :

ـ هيه ‥ هل رتبت مع كتيبتك أن تبعث اليك بطعام ؟

وقلت له ، ونصف ابتسامة مغتصبة تمر على شفتى :

ـ ليت كتيبتى فى مواقعها التى هى فيها تجد من يبعث اليها بطعام !

ونظر الى الرجل وقال لى :

ـ لا أفهمك ؟

وقلت له وأنا أنهى المناقشة :

ـ ليست هذه مشكلة ملحة على أى حال ‥ هل أجد عنـدك من يذهب الى السوق لكى يشترى لى طعاما ؟

وحين عاد أحد الجنود من السوق بعد أن اشترى لى رغيفا من الخبز وخمسة أقراص من الطعمية وعنقودا من العنب ، وجـدت شـهيتى قد ضاعت منى ‥ ووجدت أن الطعام هو آخر ما كانت تطلبه نفسى .

تأثير الصـدمة ‥

واستلقيت على سرير المستشفى منهوك القوى ‥

كان التعب المـادى والمعنوى الذى عشـناه فى الأيام الأخيرة قد بدأ يجتر عظامى وأعصابى .

ومع أنى كنت بجسمى مستلقيا على الفـراش ، فان عقلى لم يكن مستلقيا معى .

لم أستطع أن أرغم تفـكيرى على أن يمنح نفسه اغفاءة قصيرة تريحه بعـد مجهود عنيف .

كان خيالى هناك فى المواقع مع كتيبتنا .

وكان هناك شىء يضغط على ضميرى .

لقد كنت أركز العمل كله فى يدى كأركان حرب الـكتيبة ‥ فكيف الآن تجرى الأمور من غيرى ؟

من الذى تقدم ليحمل المسئولية التى سقطت عن كتفى ؟

وما هو تأثير عمله على الضباط وعلى الجنود فى مواقعهم .

وهتف بى خاطر :

ـ ان جـرحك غير نافذ ، فما هو معنى بقـائك فى المستشفى ، شظايا نيكل دخلت صـدرك ؟

وهممت بأن أقوم .. ارتكزت بمرفقى على حافة الفراش وبدأت أرفع جسدى ولكنى لم أستطع أن أمضى فى المحاولة الى آخرها .. وتركت الجـزء الذى كنت تمكنت من رفعه من جسدى يعود فيرتمى على الفراش من جديد .

كنت متعبا ، وكان تأثير الصدمة ، صدمة الاصابة ، وتأثير الدم الذى نزف من صدرى ، مازالا طاغيين على أعصابى .

وعزمت فيما بينى وبين نفسى أن أستسلم للراحة قليلا ثم أهب بعدها لكى ألحق بكتيبتى فى مواقعها التى تركتها عندها .

جهـد عـلى نفسى !

ولكنى لم أستطع أن أستسلم للراحة أبدا ..

فجأة أحسست بالمستشفى كله يموج بالحركة ..

كنت منذ دقائق نزيله الواحـد .. ولكنه فجـأة يضيق بالوافدين عليه ، وأدركت على الفور أن هذه هى نتائج المعركة الدائرة حول نجبا وتركت فراشى ملهوفا وأسرعت الى الطواف بعنابر المستشفى كلها .

كان المفروض فى مستشفى المجدل أن يكون اسعافا سريعا .

ولم يكن مفروضا أن يبقى فيـه بعـد الاسعاف السريع الا ذوو الاصابات الخفيفة ، أما الحالات الخطرة فقد كانت بعد الاسعاف السريع ترحل فورا الى غزة

ويظهر أن المستشفى من كثرة الذين جاءوا اليه لم يستطع حتى أن يمارس مهمة الاسعاف السريع فبدأ يحول الواصلين اليه الى غزة مباشرة بعدأن ضـاق بالذين ملأوه فى ساعات قليلة !

كان الحال حولى مروعا .

كانت كل الملابس من حولى مصبوغة بلون لدم .

كانت هناك تأوهات ، وآلام يحاول أصحابها أن يكبتوها ويتشجعوا .

وكان هناك زميل سلاح اخترقت رصاصة خوذته فوق رأسه ومزقت فروته وتأملت خوذته واصابته وأحسست أنى كنت أكثر من محظوظ !

وكان هناك زميل سلاح آخر أصيب بصدمة عصبية .

كان شابا وكنت أعرفه فقد كان تلميذى يوم كنت مدرسا فى الكلية الحربية ، وكان يهذى من صدمته بما لا يعى .

وتصورت يوم جاءنا فى الكلية لأول مرة يرتدى الملابس المدنية .

وذكرته فى مراحله المختلفة ونحن نصنع منه جنديا مقاتلا .

وها هو ذا يعيش التجربة التى كنا نعده لها !

وقضيت الليل كله ساهرا لا يقترب النوم من عينى .

كنت أفكر فيمن حولى ، وفى البعيدين عنى فى المعركة .

وكنت أفكر فى الحرب نفسها .

وأحسست من قلبى أنى أكره الحـرب ٠٠ ليست هـذه الحـرب التى كنـا نخوضها بالذات ولكن فكرة الحرب نفسها ٠

أحسست أن الانسانية لا تستحق شرف الحياة اذا لم تعمل بقلبها من أجـل السلام ٠

ووجدتنى أقول لنفسى :

ـ ما هذا ٠٠ انتا نسفك دم انسانيتنا بهذه الحيـاة التى نحياها فى ميدان القتـال ٠

أكون جالسا مع صديق ونفترق وبعد دقائق يدق التليفون وأرفع السماعة ويقول لى أحـدهم :

ـ ان فلانا قد مزقته قنبلة ٠

ولا أتأثر ، فانه لا ينبغى لجندى أن يتـأثر فى ميدان قتـال وانما على أن أقول ببساطة :

ـ « حسنا ٠٠ أبلغوا جماعة الدفن »

ولست أدرى لماذا وجدتنى أقطع عهدا على نفسى :

« لقد عاهدت نفسى أننى لو كنت مسئولا فى يوم من الأيام فى بلدى فسوف أفكر ألف مرة قبل أن أدفع بجنودنا الى حـرب ٠٠ لن أدفعهم اليهـا الا حيث لا يكون مفر ٠٠ حين لا تكون هنـاك وسيلة أخرى غيرها ٠٠ حين يكون شرف الوطن مهددا وكيانه فى مهب العواصف وما من شىء ينقذه الا نيران معركة ! »

جثتى أو شـبحى !

واستيقظت فى الصباح على احساس غريب ٠٠

احساس بأن أحدا ينظر الى ويحملق ٠

وفتحت عينى ٠٠ وكانت هناك عينان مسمرتان على فى ذهول ٠

وكان زميلا من أصـدقائنا فى رياسة القـوات ، وقال وفمه مازال مفتوحا من الدهشة :

ـ انت هنا ؟ !

قلت : نعم ٠٠ أى غرابة فى ذلك ؟

قال : لقـد كتبوا اسـمك أمس فى قائمة الخسـائر ٠٠ فى قائمة القتلى ، وظننت حين رأيتك على هذا السرير أنىأرى جثتك أو أرى شبحك ؟!

وقلت له : ها أنت ذا ترانى حيا أمامك ٠

ثم استدركت قائلا : هل تستطيع أن تخطر رياسـة القوات أننى لم أمت بعد حتى لا تتلقى أسرتى أشارة تنعانى اليها شهيدا فى ميدان القتال !

ولم تكد تمضى ساعات قليلة من النهار حتى دخل العنبر الذى كنت فيـه قائد كتيبتنا ٠

وقبـــل أن يسألنى عما جرى لى ٠٠ كنت أحاول أن أطمئن منه على حالة كتيبتنا !!

ولم يكن فى الذى سمعته كله شيء واحد يدعو الى الاطمئنان !

ان السرية الأمامية التى تقـدمت معها فى الفجـــر الى مواقعها على تقاطع الطرق بين نجبا والمستعمرات الأخرى قد أصبحت فى خطر ٠

ان العدو لم يعطها الفرصة لكى تحفر خندقا أو تحصن موقعا أو تمد سلكا شائكا ٠

ان النار مركزة عليها ، ولا يستطيع جنودنا هناك أن يرفعوا رءوسهم ٠

ومع ذلك استطاعت السرية أن تصمد ٠

ردت على العدو نارا بنـــار ٠٠ وهجم عليها المشاة من جنوده ليلا فجـرى اشتباك بالسونكى والقنابل اليدوية وارتد العدو تاركا أسلحته وقتلاه على أرض المعركة وعاد جنودنا الى مواقعهم يقبعون فيها كأنهم كتل من الصخر !

مسألة اختصاصات !!

وتضاعف احساسى بالقلق على السرية الأولى المتقدمة من كتيبتنا عندما سألت القـائد :

ـ ماذا جرى فى المعركة الأصلية ضد نجبا ٠٠ المعركة التى ذهبنا فيها هناك الى الموقع المكشوف على تقاطع الطرق لكى نساعد على انجاحها ٠

وقال لى القائد وهو ينفخ الهواء من أنفه ويزم شفتيه :

ـ لقد فشلت معركة نجبا !

لقد كانت الكتيبة التاسعة تهجم عليها بالمشـاة فقط ٠٠ وظل قائدها يبعث بالجنود موجة بعد موجة ، متقدمين تحت نار العدو حتى سقط منهم عدد كبير ٠

واكتشف قائد الكتيبة التاسعة أن نصف جنوده وضباطه قد سقطوا عـلى أرض المعركة ٠٠ وهو يأمرهم جماعة بعـد جماعة : تقـدم !٠٠ تقـدم !٠٠٠ فاضطر بعدها أن يوقف الهجوم ويعطى أمرا للباقين من قواته بأن ينسحبوا الى مواقعهم ٠

ومضى قائد كتيبتنا يعلق على ما حدث :

ـ هل يمكن أن ينجح هجوم على مستعمرة محصنة من غير دبابات ؟!

وكان عقلى قد شرد الى وضع سريتنا الأولى المتقدمة ٠٠ السرية التى ذهبت معها ووضعتها فى مكانها بين المستعمرات لكى تمنع وصول امدادات من الخلف الى نجبا ٠٠

ماذا جرى لهـا ؟٠٠

سيوف تتحول قوات العدو كلها اليها بعد أن توقفت المعركة الأصلية !٠٠

وسألت قائد كتيبتنا فى لهفة :

ـ هل سحبت هذه السرية المتقدمة من مكانها ؟

وهز الرجل رأسه وقال بحسرة :

ـ لا ٠٠

قلت وأنا أهم قاعدا على سريرى :

ـ لا ٠٠ لم تسحبها ٠٠ لماذا ؟ هل تريد أن تتركها لينزل عليها العدو بكل قواته ويبيد جنودها واحدا واحدا ٠

وقال القائد بيأس :

ماذا أصنع ٠٠ لقد اتصلت برياسة اللواء الثانى الذى تتبعه كتيبتنا أطلب منهم الأمر لكى أسحبها فقالوا لى لا شأن لنا بك ٠٠ أنت تابع للواء الرابع فان المعركة التى دخلتها فى معاونة الكتيبة التاسعة ٠٠ وهى تابعة للواء الرابع ٠

وصحت بالقـائد :

ـ ولماذا لم تتصل باللواء الرابع ؟٠٠

وقال القائد واليأس يمزق ألفاظه :

ـ اتصلت بهم ٠٠ وقالوا لى أنت تابع للواء الثانى وعليك أن تتلقى منـه أوامرك ٠

وقفزت أرتدى ملابسى ٠٠ وأنا أقول لقائد كتيبتنا :

ـ هيا بنا الى هناك ٠٠ لقد جن هؤلاء الناس وفقدوا صوابهم !

تماثيل من الصـــخر ؟!

كان أول ما فعلته حين دخلت مركز رياســة كتيبتنا أن أسرعت فاتصلت بالسرية الأولى أحاول أن أعرف على وجه التحديد حقيقة موقفها ٠

كان حالها أخطر مما تصوره خيالنا ٠

كان العدو يحاصرها من ثلاث جهات ، وكان لابد من خطة مدروســة حتى آخر التفاصيل لكى نستطيع انقاذها من هذا الوضع الذى تركت فيه ٠

وكان لا بد فى رأيى من معونة من المدفعية ٠

وذهب قائد الكتيبة الى مركز رياسة اللواء الرابع يطلب الموافقة على سحب السرية اذا لم تكن هناك خطة لا نعرفها تتطلب بقاءها حيث هى ٠

ومع أنى كنت أعرف أنه ليست هناك خطة على الاطلاق فلم يكن هناك مفـر من استئذان رياسة اللواء قبل البدء فى العملية ، خصـوصا اننا كنا سنطلب منها أقصى معونة من المدفعية ٠

وفى الساعة الواحدة بعد الظهر وافقت الرياسة أخيرا على سحب السرية ٠

وكان لابد أن يكون معالسرية فى انســحابها ضابط من المدفعية لـكى يستطيع توجيه النيران الى مواقع العدو المحيط بالسرية ٠

وكان لابد من ادخال أحد ضباط المدفعية الى مواقع السرية المحاصرة ٠

وأخـذت ضابط المدفعية فى ســيارة مدرعة وذهبت معه بنفسى فقد كنت أعرف الطريق الذى عبرتهمرارا وأصبت عليه وكان من الخير أن أذهب معه أنا بدل أن يذهب واحد غيرى لا يعرف الطريق ومعالمه ٠

ووجدت نفسى بعد قليل بين جنود السرية المحاصرة الذين غادرتهم بعد أن جرحت منذ أكثر من أربع وعشرين ساعة بقليل ٠

كانوا كعفاريت الجن رغم كل ما حدث لهم ٠

كانت المنطقة كلها مغطاة بالرمل الصلب المتماسك قطعا قطعا ٠

وكانوا هم على الرمل الصلب كتماثيل من الصخر ٠٠ ومدافعهم فى أيديهم متجهة الى العدو ٠

وشرحت لقائد السرية خطة الانسحاب ٠
وبدأ ضابط المدفعية يساعد مدافعنا على تسجيل أهدافها من مواقع العدو٠
وبدأت مدفعيتنا الثقيلة تهدر ٠٠ ثم جاء دور قنابل الدخان ٠
ونجحت عملية الانسحاب رغم الجهد اليائس الذى بذله العدو ليعوقنا

تحت نجوم السماء

كان حال كتيبتنا فى ذلك اليوم يدعو الى الرثاء ٠
لقد تجمعت كل السرايا ، ولم يعد العدو يحاصر بعضها ٠٠ هذا صحيح٠
ولكن التعب كان قد نال من جنودها وضباطها بشكل واضح ٠
لم يكن واحد من ضباطنا وجنودنا قد عرف النوم لخمس ليال متوالية ٠
وهكذا أحسست أن الأمر الذى صدر الينا فى تلك الليلة هو أعقل أمر أصدرته قيادتنا العامة ٠٠

كان الأمر كما يلى :
« تترك الكتيبة السادسة مواقعها للكتيبة التاسعة وتذهب هى الى الراحة »

لقد كان ضباطنا وجنودنا فعلا أشد ما يكونون حاجة ـ بعد كل الظروف التى عاشوها ـ الى الراحة ٠٠ كانوا فى حاجة الى ساعات تغمض فيها عيونهم وتسكن جوارحهم وينقطع أزيز الرصاص وانفجار القنابل فوق رءوسهم ٠

وكان المكان الذى خصص لراحتنا هو بقايا معسكر بريطانى مهجور بجوار مستعمرة نتساليم التى تحتلها قواتنا ٠

وأحسست وأنا أدخل بسيارة الجيب الى أطلال المعسكر القديم أنى أدخل قصرا منيفا ٠٠ أو هكذا بدا لعينى وقتها ٠

أخيرا سوف نقبع وراء جدار مبنى ٠

لقد كان مبنى المعسكر بلا سقف وبلا نوافذ ٠٠ ولكن ماذا تهم السقوف والنوافذ ٠٠ المهم أن هناك جدرانا ٠

واستلقيت على ظهرى ونجوم السماء تطل على من حيث لا سقف فوقى ٠
ولكن استمتاعى بنجوم السماء لم يدم طويلا !

سرية بعـــد سرية !

بعد خمس دقائق فقط دخل أحد الجنود غرفتي ـ التي لا باب لها ـ ليقـدم لي أشارة من الرئاسة تطلب منا أن نبعث باحدى سرايا الكتيبة لكي تساعد في معركة ناشبة في أسدود ٠

واستيقظت في الصباح على أشارة ثانية تطلب سرية ثانية لكي تعـــاون الكتيبة التاسعة عند عراق سويدان ٠

ومع أنني أطعت الأوامر وبعثت بالسريتين المطلوبتين الا أن سخطي لم تكن له حـدود ٠

لقد كنت أريد أن تستريح الكتيبة وتسنح لها الفرصة لتعيد تنظيم نفسها وتحسب خسائرها وتنظم صفوفها ، لتكون جاهزة عنـدما تدعوها حاجـة الى معركة ٠

ولكن بدلا من ذلك ٠٠ ها هي السرايا تسحب منا واحدة بعد واحدة ٠

وبلغ سخطي مداه عندما طلبوا منا سرية ثالثة ، ولـكن ظروف طلب السرية الثالثة كانت أكثر مما يمكن أن تحتمله أعصاب بشر !!

كانت قيادتنا العامة قد بدأت معركة ضد مستعمرة بيرون اسحق الواقعـة أمام غزة ٠٠

ومع أن القائد العـام للقـوات ، ومدير العمليات ، وقائد الطيران ، كانوا جميعا بأنفسهم يشرفون على المعركة الجديدة ، فان الهجوم على بيرون اســحاق كان نموذجا متكررا للعمليات التي جرت قبل ذلك في دير سنيد ، وفي نجبا ٠ مشاة بلا دروع ٠٠ أمام مواقع محصنة !

واستطاع مشاتنا أن يدخلوا الى المستعمرة ، ويحـاربوا فيها من بيت الى بيت ، حتى أن أحد مراقبي الهدنة طلب من القائد العـام أن يأمر بوقف القتال لأن المستعمرة سوف تستسلم ٠٠ورفض القائد العام واستمرت المعركة ٠

ولكن القائد العام كان قد نسي اعتبارين :

أولهما أنه ترك طريق الامداد وراء بيرون اسحاق مفتوحا فبدأت النجدات تتدفق على المستعمرة اليائسة ٠

والاعتبار الثاني أن الشمس تغرب آخر النهار ويهبط الليل ٠

وهكذا ساد الظلام أرض المعركة ، والنجدات مازالت تتدفق من الوراء ، والقتال مازال مستمرا ٠

وأصبح المحاربون داخل أسوار المستعمرة وكأنهم داخل مصيدة !

وبدأوا يتساقطون واحدا بعد واحد داخل أسوار المستعمرة ٠

ولـكن هذه الأزمة داخل أسـوار المستعمرة لم تكن السبب الذى من أجله دعيت سرية ثالثة من كتيبتنا الى غزة ٠

كان السبب أشد خطورة وأشد مرارة فى نفس الوقت ٠
كان القائد العام قد ألقى فى معركته ضد نجبا بقوات الكتيبة الثالثة التى كانت تحرس مدينة غزة نفسها ٠

وكان القائد العام يقدر أن تفرغ المعركة قبل الليل وتعود الكتيبة الى مواقع الحراسة حول المدينة قبل أن يهبط الظلام ٠
ولكن المعركة لم تسر على هواه ٠

وجاء الليل والكتيبة الثالثة مبعثرة ٠٠ نصفها داخل المستعمرة فى المصيدة والنصف الثانى خارجها يتميز غيظا ٠٠ أما غـزة نفسها فكانت دون حراسة فى الليل ٠

وكانت السرية المطلوبة منا سـوف تكلف بالحراسة ٠٠ واحتـلال المواقع الدفاعية ٠٠ التى تحمى غزة ٠٠ حتى لا يجيء العدو بالليل ويتمشى الى داخـل المدينة فى نزهة تحت نجوم السماء المتلألئة !!

كتيبـة من غير جنود !

وسمعت ليتلها أخبار راديو القـاهرة وكان بينها أن مجلس الأمن ٠٠ عاد مرة أخرى فأوقف القتال فى فلسطين ٠٠ وأن وقف القتال سـوف يبدأ فى الساعة الخامسة من بعد ظهر الغد !

وتوقعت أن يعود العدو فيكرر الليلة والغد نفس الذى حاول أن يصنعه من قبل حين صدرت أوامر وقف القتال فى المرة الأولى ٠

سـوف يحـاول العـدو أن يحتل مواقع حاكمة فى الساعات الأخيرة لـكى يحتشد وراءها ويستعد ٠٠ ويعود ليضربنا عندما يستريح !

وعرفت أن العـدو لم يخيب ظنى فيه ، فقد طلب الينـا أن نبعث بسرية من سرايانا لكى تساعد فى المعركة التى هجم فيها العدو ليحاول أن يقطع الطريق بين عراق سويدان والمجدل ، عند نقطة كراتيا ٠

وكنت أتابع هذه الأخبـار كلهـا وأنا قابع فى أطلال المعسكر البريطانى المهجور ٠٠ الذى ترك بلا نوافذ وبلا أبواب ٠

لم يكن عندى ما أصنعه غير أن أتابع ٠
فقد كنت أركان حرب كتيبة ٠٠ من غير كتيبة ٠
كانت سرايانا كلها معارة للكتائب الأخرى ٠
وكنا ٠٠ رياسة الكتيبة ٠٠ وحدنا فى المعسكر المهجور !

الساعة الخامسة !

ووقفت أمام المعسكر المهجور عصر اليوم الذى كان يجب أن يقف فيه القتال وقفت والخواطر تزحم رأسى ٠

هدنة أخرى تصدر بها الأوامر من نيويورك ونطيع ٠٠

أهى حرب حقيقية ٠٠ أم هى لعبة شطرنج ؟٠٠

انى لا أشك فى الذى سوف يحدث ٠٠ سوف نعود فنشهد صورة للذى شهدناه من قبل ٠٠

سوف نذعن للسلام ٠٠ ولكن العدو لن يذعن للسلام ٠٠

سوف يدعم مواقعه ، ويحشد قواته ، ويعطيها فرصة لتستريح ، ثم يضربنا حين يشاء ، ويضرب معنا قرار وقف القتال الصادر من نيويورك ٠

وبدأت الساعة تقرب من الخامسة ٠

وبدأت أصيخ السمع فى اتجاهات الأفق المفتوحة ، وكأنى أريد أن أتسمع الى المدافع ، وأشعر بها عندما تلتزم الصمت حين يصل عقرب الساعة الى تمام الخامسة ٠

ووصل عقرب الساعة الى الخامسة ٠

وبدأ يمشى بعدها ٠٠

لقد بدأت الهدنة ٠٠ بدأ السلام الذى لا يعرف أحد كيف ينتهى وأين ينتهى ومتى ينتهى ؟!

وفجأة لمحت عند الأفق طائرتين عائدتين من اتجاه الشمال ٠٠

وأدركت أنهما من طائراتنا ٠٠

لابد أنهما كانتا فى دورية فوق أرض العدو ٠٠ ثم عادتا مع موعد وقف القتال فى الساعة الخامسة تماما احتراما لقرار الهدنة ٠

ومضيت أرقب الطائرتين تتقدمان فوق مواقعنا على ارتفاع بسيط متجهتين الى قاعدتهما دون شك ٠

وأحسست بحنان غريب نحو زملائنا فى السلاح ، المحاربين من الجو ، ومضيت وعيناى على الطائرتين أرقبهما وهما تسيران فى الهواء كأنهما – فى تلك الساعة من العصر – تعبران بحرا من الضياء الباهر ٠

وفجأة لا أدرى من أين ظهرت ثلاث طائرات تحلق على ارتفاع شاهق وتدير نفسها لكى تنحدر متحكمة فى الطائرتين السائرتين على ارتفاع قليل ٠

وأدركت فورا معنى الذى حدث ٠٠

هذه ثلاث من طائرات العدو وها هى أمام عينى بعد موعـد وقف القتـال تنقض على اثنتين من طائراتنا احترمتا الهدنة وعادتا الى خطوطنا مع الخامسة بعد الظهر ٠

وبدأت أصرخ كالمجنون ، وكأنى أتصور أن صراخى وتحذيرى سوف يصل الى طائرتينا اللتين لا تشعران بالخطر ٠

ويبـدو أخيرا أن طيارينا أحسـوا بالخطر ٠٠ فان السرعة بدأت تزيد ٠٠ وبدأ ما فهمته على أنه مناورة للدوران والافلات الى اتجاه البحر ٠

ولكن المفاجأة كانت كاملة ٠

وبرقت النار فى السماء شاحبة فى ضياء العصر الباهر ٠

وسمعت دوى الرصاص ٠

وفى أسرع من لمح البصر ٠٠ كانت احـدى طائراتنا تهـوى محترقة الى الأرض ، وكانت الثانية قد أفلتت الى اتجاه البحر ٠

وأحسست أنى أفقد صوابى ٠٠ وأنى أهذى ٠٠ وانى أريد أن أنفجر ٠٠

ولم يلبث ضابط مخابرات كتيبتنا أن خرج الى موقع سقوط الطائرة ثم عاد يؤكد لنا مصرع طيارها ٠

وكنت أعرفه ، فقد كان طيارا شابا حديث العهد بالمعارك ٠٠ وكانت تلك أول عملية له فى فلسطين !

وكان الذى يؤلمنى أن الفرصة لم تتح له لكى يقاتل دفاعا عن حياته ٠٠

لقد قتل غيلة وغدرا ٠

كان عائدا مطمئنا الى القرار الذى صدر فى نيويورك وطلبت منه قيـادته أن يحترمه فانقض عليه الذين طلبت منهم قيادتهم أن لا يحترموا شيئا ٠

لم يكن الذى رأيته من مكانى ، وبصرى معلق فى السماء ، معركة ٠

انما كان جريمة قتل غادرة ٠

واستلقيت ليلتها فى غرفتى فى أطلال المعسـكر البريطانى المهجـور ٠٠ غرفتى التى لا سقف لهـا ٠٠ والنجوم تطل على من أبراجهـا وكان فى رأسى خاطر واحد :

« سوف نلقى جميعا نفس المصير الذى رأيت هذا الطيار الشاب الصديق يلاقيه ٠٠ مادام حال الذين يوجهوننا من القاهرة ومن قيادتنا العامة فى الميدان هو هذا الحال فلن يتاح لواحد منا أن يحارب فى معركة شريفة متكافئة مع عدوه دفاعا عن حياته وشرف بلاده ٠

لن تتاح لنا هذه الفرصة أبدا ٠٠

ليس أمامنا الا أن نقتل ٠٠ هكذا ٠٠ غيلة وغدرا ! »
ومضت علينا أيام الهدنة الجديدة كما مضت قبلها أيام الهدنة الأولى !ـ
كأننا ما فعلنا شيئا !

كأنما الدماء التى سالت ٠٠ كأنما الجهـود التى بذلت ٠٠ كأنما الأرواح التى أعطيت فى سخاء ٠٠ كأنما السهر الطويل المستمر ٠٠ كأن أهوال المعارك فى الليل والنهار ٠٠ كأنها جميعا لم تكن !

عدنا الى الانتظار الذى ليس له حد نعرفه نحن ، وان كان يبدو أن العدو يعرف منه كل حد ، يعرف أين يبدأ ويعرف أين ينتهى ، ويعرف أين يستفيد بين البداية والنهاية ٠٠ قوة لنفسه ٠٠ قوة علينا !

ولقد كان فى الخنادق هذه المرة ـ على أى حال ـ شعور جديد ٠٠ شعور بالمرارة ٠

لقد حاربنا فترة ما بين الهدنتين بكل طاقة فى أجسادنا العارية من الدروع

ومع ذلك لم نكد نمضى فى الحرب ٠٠ ويعلو ضجيج المعركة على صـوت الهمسات التى كانت تتردد فى خنادقنا عن الحـرب السياسية ٠٠ حتى جاءت السياسة مرة ثانية فأوقفت القتال طاعة لمجلس الأمن فى نيويورك ٠

اذن ماذا فعلنا ٠٠
فيم كانت كل هذه التضحيات ٠٠
والى أين ينتهى بنا المطاف ؟

هل سنحارب ٠٠ هل سنهادن ٠٠ أم هل كتب علينـا جميعا نفس مصير الطيار الذى لقى مصرعه أمام عينى بعد نصـف ساعة من الهدنة ٠٠ فنقتـل جميعا غيلة وغدرا ودون ما فرصة ندافع فيها عن الوطن والشرف والحياة !

لم يكن هناك من يستطيع أن يجيب على هذا كله ٠٠

وكانت المرارة المكتومة ، والغيظ المكبوت ، يرزحان على خنادقنا ٠٠ اجابة خالصة لكل من يريد جوابا على أى سؤال !

وبدأت أشعر بالملل فى مكانى من أنقاض المعسكر المهجور الذى لا سقف له ولا نوافذ ، والذى كنا مانزال ننتظر فيه ٠٠

وما من شك أن هذا الشعور بالملل لم يحاصرنى وحدى ٠٠ وانما ضم معى أيضا كل زملائنا فى السلاح ٠٠

ولقد حاولنا جهد المستطاع أن نسرى على أنفسنا ، ونفلسف الظروف التى نعيش فى اسارها ٠

كنا ننزل أحيانا الى المدن القريبة منا ٠٠ الى المجدل ٠٠ والى غزة ٠٠ وكنا نحاول الاتصال بأصدقائنا ، ونترقب أن نلتقى بهم ٠

وكنا من مركز رياسة كتيبتنا نقضى الليل أحيانا تحت السماء الصافية تلمع نجومها ونستدعى جنديا من كتيبتنا كان أصله بائع مثلجات فى القاهرة ٠ ونتركه يسترسل فى أغانيه الريفية التى كانت تنفذ الى قلوبنا حاملة معها حنينا غريبا الى الوطن ولهفة عليه !

الذين لم ينسونا فى الوطن !

وقدر لى أن أعود الى الوطن فى أجازة قصيرة بعد أيام ٠

وفجعتنى القاهرة حين ألقيت عليها أول نظرة ، وأنا عائد من ميدان القتال ٠

لم تكن عاصمة بلد يحارب فى معركة حياة أو موت ٠

كان كل شىء فيها كما تعودت أن أراه ٠٠ سلاما هادئا ٠٠ يكاد يغفى من النعاس فى بعض الأحيان ٠

وأحسست بانقباض غريب فى العاصمة المائجة بالحياة العادية ٠٠ بينما احدى سيارات التاكسى تقطع بى الطريق من ميدان المحطة الى منزلى ٠

وحين اقتربت من بيتى أحسست ببعض العزاء ، فقد شعرت أن هناك بين أفراد الشعب العادى من يحس بالذى نصنعه فى فلسطين ٠

رفض سائق التاكسى أن يأخذ الأجر الذى حسبه العداد وحاولت بشتى فنون المنطق أن أقنعه ، ولكن الرجل تمسك بمنطقه الساذج الطيب ٠٠ لقد كنت فى رأيه ـ كما لاحظ ورأى ـ عائدا من ميدان القتال ، فهل يجوز له أن يتقاضى منى أجر الركوب ؟ ان السيارة لم تكن ملكه ٠٠ ولكن ماذا يهم ٠٠ ذلك فى منطقه مسألة ثانوية !

واقتربت أدخل من باب البيت بعد المناقشة الطويلة مع سائق التاكسى ، واذا العمال فى بعض الورش والمحال القريبة من بيتنا يلمحوننى وأنا فى الطريق اليه ٠٠ وكنت دائما على علاقة طيبة بهم ٠٠ ويبدو أنهم افتقدوا غيبتى الطويلة فى ميدان القتال ، ومن يدرى فقد يكون بينهم من ظن أنى لن أعود أبدا وأشفق على من المصير الذى قدر لى أن ألقاه ٠

وهكذا هرع الى جمع منهم ٠٠ بعضهم يسلم ٠٠ وبعضهم يصفق ٠٠ أو يقول كلمة تشجيع بسيطة فى معناها ولكنها صادرة من القلب ٠

وكانت أيام الاجازة الأربعة مشحونة ٠

اتصلت بأصدقائى الذين كانوا فى العاصمة وبينهم عبد الحكيم عامر الذى كان قد عاد ليدخل المستشفى كى تجرى له عملية جراحية فى احدى يديه بعد اصابتها بشظية وتلوثت الاصابة فى ميدان القتال .

والتقيت بحسن ابراهيم ..

ومررت على رئاسة الجيش أتنسم الاخبار ، وسمعت روايات عن معدات جديدة فى طريقها الينا ..

ولقد صدقت أمانى ما سمعت ..

ولكن عقلى .. والتجربة الحقيقية فى الميدان .. كذبا .. وأصرا على التكذيب !

العودة الى الميدان !

وفى أول يوم العيد .. كان لابد أن تنتهى اجازتى .

وذهبت فى الصباح مع ابنتى هدى الى حديقة الحيوان ، ثم عدنا الى البيت لكى أحزم أمتعتى وأقول لأسرتى مرة ثانية : وداعا !

ثم أستقل القطار فى اتجاه جبهة القتال .. وأعود الى الميدان الذى كنت قد تركته منذ أربعة أيام .

ولم يكن هناك شىء قد تغير فيه .

كان تماما كما تركته .

سلم وسط الحرب .. وحرب وسط السلام .

وبين السلام الضائع والحرب الضائعة .. كانت خنادقنا تعيش فى حيرة خطيرة .. أخطر عليها من العدو الذى تحاربه .

وعدت الى أطلال المعسكر المهجور .

وعدت الى النجوم المتلألئة أنام تحتها ، كل ليلة فى غرفتى التى لا سقف لها ، وأقضى الساعات أتأملها فى ارتفاعها الشاهق فوقى وأسرح بأحلامى بين أفلاكها .

ومرت الأيام ..

وفى صباح الخميس ٩ سبتمبر دعينا الى مؤتمر فى رئاسة القوات ، وهناك علمنا أن كتيبتنا سوف تتسلم خطا جديدا .. هو الخط بين عراق المنشية وبيت جبرين .

وسبقت كتيبتى الى الخط الجديد .

وبدأت سرايانا تصل الى مواقعها واحدة بعد أخرى .

وكان القدر يدخر لنا مفاجآت ·· بعضها وراء بعض !

فى المواقع الجـديدة !

وبدأت أستكشف المنطقة حولى لـكى أعرف أين أنا ·· وبالتالى لكى أستعد اذا ما جاء العدو ·

كانت عراق المنشية قرية صغيرة تضيق بمن فيها من سـكان ومن لاجئين ، وكان تعداد الجميع يتراوح بين ١٨٠٠ شخص و ٢٠٠٠ شخص ·

وكانت على الطريق الرئيسى الذى يفصل الشمال عن النقب الجنوبى ويمتد من المجدل حتى الخليل ·

وكانت مستعمرات العدو تحيط بها من كل جانب ·

على بعد كيلو مترين اثنين الى الأمام منها كانت تقع مستعمرة جات ·

وفى جنوبها مستعمرات رحامة وجمامة ·

وفى شـمالها مجموعات أخـرى من المستعمرات فى أرض يحتلها العـدو ويسيطر عليها كلها !

وكانت حولنا مجموعة من القرى العربية تقع داخـل النطاق الذى فرضت علينا حمايته وكان هذا النطاق يمتد الى ثلاثين كيلو مترا ·

وعندما وزعت كتيبتنا على النطاق الذى يجب أن تحميه وجـدت أن المأساة القديمة قد عادت فكررت نفسها من جديد ·

لقد فرض على قوات كتيبتنا أن تبعثر على مناطق منعزلة ·

وعليها فى هذه البعثرة ، أن تدافع عن القرى الواقعة فى نطاقها ·· وتدافع بالطبع عن نفسها !

الحظ معنـا !

وبدأ النشاط يدب فى قطاعنا ·

وذات صباح تلقيت أشارة من الحاكم الادارى المصرى لبيت جبرين يقـول فيها : ان العدو احتل خربة المجحز وأن قواته بدأت تحفر خنـادقها وتحصن مواقعها الجديدة ·

وقال لى الحاكم الادارى أنه مع عدد من المتطوعين يناوشون العدو ويعرقلون جهوده ، ولكنهم فى حاجة شديدة الى النجدة ··

وبعثت التفاصيل الى رياسة اللواء ، وأرسلت فى الوقت نفسه أحد ضباطنا لكى يرى الأمر بنفسه ويعود لنا بصورة واضحة للحالة هناك ٠

وعند الظهر كانت رياسة اللواء الرابع تأمر كتيبتنا بطرد العدو من خربة المجحز وكان الضابط الذى أرسلته طلبا للمعلومات قد حقق مهمته وعاد ٠

وخرجت من عراق المنشية فى طريقى الى المهمة التى كلفنا بها ٠

كانت معى فصيلتان من المشاة أى ما يقرب من سبعين جنديا ٠

وكانت معى سيارتان مدرعتان ، وست حمالات ، وواحدة من جماعات الفيكرز ومرة أخرى وجدتنى فى سباق مع الزمن ٠

ولكننا استطعنا على أى حال أن نبدأ الهجوم على المجحز فى الساعة الرابعة بعد الظهر ٠٠

وكانت الخطة التى وضعتها أن تتقدم الحمالات من يمين المجحز وأن يتقدم المشاة من الشمال ٠

وبدأت أضع يدى على قلبى فان الحمالات بعثت الى برسالة تقول فيها أن خورا واسعا ـ مجرى مائيا جافا ـ يعترض طريقها ولا تستطيع عبوره الى الهدف٠

ولكن فصيلة الحمالات حققت أملى فيها وزيادة ، فقد تلقيت منها أشارة فى الخامسة والنصف بأنها وجدت طريقا وأنها ماضية الى الهدف ٠

وبعد ربع ساعة أبلغنى قائد فصيلة الحمالات أنه وسط الهدف ٠٠ انه دخل المجحز وانه مشتبك مع العدو فيها وتقدمت المشاة فى نفس الوقت ، ومعها جماعات من المتطوعين العرب ، فلم تجىء الساعة السادسة والربع حتى كانت العملية قد انتهت ، وكان قتلى العدو يملأون أرض المعركة ٠

والغريب ٠٠ الذى مازلت أعجب له حتى الآن أن الحظ حالفنا فلم تكن بين قواتنا خسائر على الاطلاق ٠

وأبلغنا التفاصيل الى رئاسة اللواء الرابع فصدرت الينا الأوامر بأن نسلم المجحز الى قوات المتطوعين لعرب ونعود نحن الى مواقعنا فى عراق المنشية ٠

وكانت قواتنا العائدة فى الليل تبدو وكأن لها أجنحة تطير بها من شدة الفرح ٠

كانت روحنا المعنوية عالية ٠٠ وكانت حماسة جنودنا بالغة ٠٠ وكان الطريق جميلا ٠٠ ولعلنى لم أره أبدا رغم الظلام بمثل هذه الدرجة من الجمال!

ولكن سعادتى لم يقدر لها أن تستمتع بالحياة أكثر من ليلتين فقد كانت أول أشارة تلقيتها فى صباح اليوم التالى أن العدو عاد فهجم على المجحز وان المتطوعين

الذين كان عليهم حمايتها انسحبوا فى الفجر تحت نيران العدو ٠

ووجدت بعد هذه الاشارة أمرا انذاريا من رئاسة اللواء بأن نستعد للاستيلاء على المجحز مرة أخرى ٠

وبدأت أضرب كفا بكف ٠

لقد خضنا معركة منتصرة لاستردادها من العدو ، ومع ذلك فرطنا فيها بسهولة ، وعادوا الآن يقولون لنا اذهبوا فخذوها مرة جديدة ٠

وفى هذه الاثناء كانت هناك أشارات طائرة ٠٠ ذاهبة قادمة ٠٠ تلقى المسئولية مرة على رئاسة اللواء الرابع وأوامرها ٠٠ ومرة على المتطوعين العرب.

وفى الساعة الواحدة ظهرا ألغى الأمر الانذارى ٠

وعلى أى حال فانى لم أكن قد توقفت عن مد المتطوعين العرب بالسلاح والذخيرة ٠٠ ولا عن تحريضهم لكى يذهبوا ويحاولوا بأى طريق أن يمنعوا العدو من تحصين مواقعه ٠

وكنت أقول لنفسى :

ـ لن يذهب هذا عبثا على أى حال ٠٠ اذا لم أذهب أنا الى المجحز فسوف يذهب غيرى من زملائنا ٠٠ ولسوف تتردد قيادتنا بعض الوقت ثم تحزم أمرها أخيرا وتصدر الى واحد ما أمرا باسترداد المجحز ٠٠ واذا كان فى وسعى أن أساعد هذا الواحد فى عمله ٠٠ فانه لا ينبغى علينا أن نتردد ٠

ولم ألبث أن علمت بعد ذلك بقليل أن الكتيبة الأولى فى الفالوجا قد كلفت باسترداد المجحز وان الأوامر قد صدرت الى زكريا محيى الدين بأن يقود الهجوم!

المرة التى شعرت فيها بالخوف

واتصلت بزكريا محيى الدين أطلب منه أن أخرج معه الى العملية ٠

وكانت فكرتى أنى أعرف طبيعة الأرض وانى عملت فيها الى ساعات قليلة مضت ٠٠

وعندما وصلنا الى منتصف الطريق الى المجحز وجدنا أن خير ما نفعله هو أن نؤجل الهجوم الى الصباح ونبدأه مع خيوط الفجر الأولى ٠

ونمنا فى الخلاء ٠٠ زكريا محيى الدين وأنا ٠٠

فوقنا بطانية ، وتحتنا بطانية أخرى ٠٠ وبيننا أحاديث لا تنقطع عن العدو وعن قيادتنا ٠٠ وعن العاصمة أيضا !

وبدأت المعركة فى الصباح ، واقترحت على زكريا أن يستعين بفصيلة الحمالات من الكتيبة السادسة ، وهى التى قادها الجاويش عبد الفتاح ودخل بها الى وسط العدو منذ يومين ٠

ووافق زكريا واتصلت بكتيبتنا أطلب منهم أن يبعثوا الى بعبد الفتاح ٠

وبعد ساعة واحدة كان الجاويش عبد الفتاح داخل المجحز يبعث الى بأشارة يقول فيها انه دخل القرية ويطلب المشاة للتعزيز ٠

ولم أطق صبرا ٠٠

ركبت احدى الحمالات وأسرعت بنفسى الى المجحز ٠

وكانت القرية حين دخلتها جحيما من النار ، فان العدو المحنق المنسحب كان قد صب عليها كل ما استطاعت مدافعه أن تسعه من قنابل ٠

وأعترف أنى شعرت بالخوف مرة واحدة فى حيـــاتى ٠٠ وكانت فى تلك الساعة فى المجحز !٠٠

ولست أدرى ماذا حدث لى حتى شردت عن المعركة الى أسرتى فى القـــاهرة واذا أنا لمدة ثلاث دقائق أفقد روح المحارب واندفاعه ٠

ومن حسن حظى أن هذا الشعور فارقنى بعد ثلاث دقائق وعدت الى شعور اللامبالاة الذى هو أكبر عدة المحارب ٠

ان الحرص على الحياة ٠٠ وتلك تجربتى فى ميدان القتال ، أكثر ما يسلب المحارب روح القتال ، وأن الاندفاع الى النصر ٠٠ كامن فى اللامبالاة بالنفس٠٠ ونسيان كل شىء عنها ومراعاة المعركة وحدها !

نظرة صاعقة !

ولم يكن هناك ما أفعله بعـدها ٠٠ وأنا مشـترك فى المعـركة بطريقة غير رسمية ، الا أن أعود ولقيت زكريا فى طريق عودتى وتمنيت له حظا سعيدا ، وكان هو فى طريقه الى المجحز ٠

ولم أكد أمضى بعيدا عـلى أى حال حتى جاء من يبلغنى أن العـدو كر مرة أخرى فدخل المجحز ٠

وقررت أن أتمهل فى العودة وفى ظنى أن أطمئن على زكريا ٠٠ فقد تركته لآخر مرة متقدما الى المجحز ٠٠ وها هو العدو يعود اليها ٠

وعلمت بعد قليل ان زكريا سمع بسقوط المجحز مرة أخرى فى يد العـدو قبل أن يصل اليها وأنه عاد فى انتظار أوامر جديدة ٠

ولـكن الأوامر الجديدة تأخرت ثلاثة أيام كانت أغلى من الحياة فى يد العـدو الذى جعل من القرية حصنا منيعا ٠

وحين صدرت الأوامر بهجـوم جديد عليها ٠٠ كان قائد اللواء نفسه هـو الذى سيقود الهجوم ٠٠

وحشد قائد اللواء مجموعات هائلة من القوات ، وقلت مرة لقائد مدرعاته :

ـ هل تريدون أن أجيء معكم ٠٠ لقد ذهبت كتيبتنا الى المجحز قبل ذلك ، واستولت عليها مرتين ؟

ولم يجب الرجل٠٠ بل اكتفى بأن رمقنى بنظرة صاعقة مشحونة بالكبرياء ومضى فى طريقه ٠٠ ولكن ليس الى المجحز فان الهجوم الجديد لم يقدر له النجاح بسبب الأيام الثلاثة الضائعة على الأقل ! وكنت أتابع تطوراته من مواقعنا فى عراق المنشية وأنا أقرض أسنانى من الغيظ !

ماذا أعـددنا ؟!

وجاء العيد الكبير ٠٠٠

وصباح يوم العيد تلقينا أشارة من رئاسة القوات تقول ان العـدو سـوف ينتهز فرصة العيد ويقوم بهجوم على مواقعنا ٠

ويظهر أن قيادتنا العامة لم تفعـل أكثر من أنها بعثت الينا بهذه الرسـالة ونسيت عنا كل شيء وانهمكت فى استقبال الأميرة السابقة فايزة وكان مقـررا أن تزور الميدان ٠

لقد عرفنا أن العدو سوف ينتهز فرصة العيد ويهجم ، ولكن ماذا أعـددنا له ؟٠٠ ما هى الخطة التى رسمتها قيادتنا لملاقاته !

أرسلنا الى المواقع نقول لكل جندى :

ـ خل بالك ياعسكرى !

ولكن ما معنى هذا ، وما قيمته ٠٠ وماذا كان فى استطاعتنا أن نفعل غير ذلك ٠٠

ان قيادتنا بعثت برسالتها التى تقول ان العدو سيهجم على كل اللواءات ٠

وأبلغ اللواءات الأمر الى قواد الكتائب ٠

وانتقل الخبر منهم الى أركانات حرب كتائبهم ، ثم الى قواد السرايا والفصائل ووصل الجنود فى الخنادق الأولى على صورة :

ـ خل بالك ياعسكرى !

واعتبرت قيادتنا أنها أدت واجبها وأكثر ٠٠ ونسيت أنه كان يتعين عليها أن تعد خططا مضادة لكل احتمال وتبعث بها الينا !

كل شيء هادىء !

بدأت الحوادث تجرى مسرعة ٠

كان اليوم هو ثالث أيام العيد ..
وبدأ العدو نشاطه فى الساعة الحادية عشرة مساء .

بعثت احدى سرايانا الى الشرق تقول ان العدو يتحرك بين عراق المنشية وبيت جبرين . وبعث قائد السرية يقول لى أنه بعث احدى دورياته للاستكشاف فعادت اليه تقول ان العدو نشط على الطريق الرئيسى وانه احتل موقعا عليه وبدأ يحفر حوله ويقيم الاسلاك وان ذلك معناه قطع الطريق بين عراق المنشية وبيت جبرين .

وقلت لقائد السرية أن يشتبك بالعدو ويمنعه من تحصين موقعه واتصلت برياسة اللواء الرابع أروى لهم ما حدث وكان الرد أمرا من اللواء بأن تقوم كتيبتنا برد العدو عن هذه المواقع .

وفى الساعة الثالثة صباحا كان تجهيز القوة الخارجة لرد العدو يسير على قدم وساق ، وكان مفروضا أن أخرج أنا بهذه القوة .
وكان مقررا أن نخرج مع ضوء الفجر الأول ..

وكنت واقفا بنفسى أمام مركز رياسة كتيبتنا أتعجل ضوء الفجر لكى نتحرك الى هدفنا .
كان كل شيء حولنا هادئا ساكنا ..

حتى المستعمرة التى تواجهنا ــ جات ــ بدت وكأنها مستغرقة فى نوم عميق .

ودخلت مركز الرياسة ، وطلبت على التليفون برج المراقبة العالى المشرف من مواقعنا فوق الجبل على مستعمرة جات أسألهم عن الأحوال حول المستعمرة .. وكان الرد يؤيد ما أحسست به بنفسى .. وهو أن كل شيء هادى !

الدبابات تظهر !

واقتربت عقارب الساعة من الخامسة . وكان لابد أن نتحرك .. ولكن فجأة انتهى الهدوء نهاية خاطفة مروعة ..

بدأت النار تنهال فوق عراق المنشية بتركيز لم أشهد له مثيلا من قبل .
كانت القرية كلها تحت الانفجارات المتواصلة مرة واحدة .
اذن فقد بدأت المعركة هنا .. واذن فيجب أن أبقى لأواجه هذا الهجوم .
ودخلت مركز الرياسة أحاول مواجهة المعركة .

ودق التليفون فى الخامسةوالنصف وسمعت قائد السرية المواجهة لمستعمرة جات يقول لى :

ـ ان العدو يتقدم ٠٠ بالدبابات ٠٠

وصحت فيه أقول :

ـ بماذا بالدبابات ٠٠ هل أنت متأكد ؟

ومع أن الضابط مضى يؤكدها بشدة ٠٠ فقد تصورت ـ وظلمته في تصوري ! ـ أن شدة النار هي التي جعلته يتصور وجود الدبابات من غير أن تكون هناك دبابات !

لم يكن العدو قد استعمل الدبابات في فلسطين أبدا حتى اليوم ٠٠ لدرجة أن القائد العام لقواتنا في الميدان طلب مني ونحن في طريقنا الى عراق المنشية من مواقعنا القديمة في أسدود أن أترك له هناك مدافعنا المضادة للدبابات من عيار ٦ رطل ٠٠ ولما حاولت أن أناقشه في ذلك قال :

ـ ان العدو لايستعمل الدبابات ، ثم أن الأرض التي ستذهب اليها لا تصلح بطبيعتها لاستعمال الدبابات !

ولقد أطعته ٠٠ ولكنني أمرت أحد جاويشية كتيبتنا أن يأخذ معه ومن وراء ظهر القائد العلم مدفعين من المدافع المضادة للدبابات ، وكنت أقول في نفسي :

ـ ولو لمجرد الاحتمال البعيد !

وعاد قائد السرية المواجهة للمستعمرة يقول لي : ان الدبابات تتقدم على مواقعه ، وأنها عبرت الاسلاك الشائكة !

اذن فان الاحتمال الذي قطع قائدنا العام بعدم حدوثه ٠٠ وحاولت أنا أن أحتاط له ، قد وقع ٠٠

اذن فقد كان يجب أن تبقى معنا مدافعنا المضادة للدبابات ولا تسلب منا حتى يهجم العدو علينا بدباباته فنحار كيف نصده ٠

اذن فان اعتمادنا اليوم كله على مدفعين اثنين أخذناهما من وراء ظهر القائد العام ٠

ونقلت المدافع ٠٠ أقصد المدفعين الاثنين ٠٠ الى مواجهة الدبابات القادمة ٠

داخـل النطاق !

كانت الأخبار تترى علي وأنا في مركز الرئاسة كأنها لمعات البرق المشحونة بالكهرباء ٠

كنت أعرف الموقف أكثر من غيري فان الصورة كلها أمامي ٠

صورة قواتنا المبعثرة ٠

ومدافع الدبابات التى لا نملك منها الا اثنين ..

الألغام التى كنا نصرخ بأعلى صوتنا طلبا لها ، ولكنها كانت تصل بكميات لا تكفى اطلاقا لاحاطة مواقعنا بنطاق محكم منها ..

وأخطرت بأن دبابات العدو تقدمت ..

دبابات العدو تقتحم الاسلاك ..

دبابات العدو تقتحم مواقع الفصيلة الأولى ..

دبابات العدو تعبر مواقعنا كلها الى البلدة نفسها .

دبابات العدو داخل البلدة .

ان الموقف قد تغير اذن ويجب أن أواجهه بطريقة جديدة .

لقد كانت قواتنا موزعة على نطاق معين لصد العدو الهاجم علينا من الخارج، ولكن الكارثة التى حلت هى أن العدو اخترق هذا النطاق وأصبح داخل عـراق المنشية .. أى داخل النطاق الذى ندافع من حوله .

ان قلب النطاق ليست فيه مقاومة فان المقاومة حوله تصد عنه .

اذن فان العدو سـوف يمرح فى البلدة ما شـاءت له خطته لـكى يمزق أوصالنا ويقطع أعصاب مواصلاتنا .

وسألت فى لهفة :

ـ أين المدفعان المضادان للدبابات ؟

وكانت المفاجأة المروعة التى صنعها لنا القدر ..

ـ لقد سقطت قنابل هاون فوق المدفعين مباشرة .. وعطلا وأصـبحا غير قادرين على العمل ..

وقفزت خارجا من مركز الرياسة .

يجب أن أواجه الأمر بنفسى على الطبيعة ..

لم تعد تجدى الخطط ولا التنظيمات ، لقد خرج الأمر عن هذه الحدود ، ولم يعد ينقذ الموقف الا محاولة يائسة لسد الثغـرة التى فتحها العـدو فى نطاقات دفاعنا !

وحين غادرت مركز رياستنا كان العـدو قد احتل مدرسـة عراق المنشية القريبة من مركز الرياسة نفسه !

النـار فى كل مكان

كانت البلدة فى هول مخيف .

القنابل تنفجر فى كل ناحية .

ضجيج المعركة يملأ الآفاق .
طلقات الرصاص تئز مجنونة لا تلوى على شيء ..

وأدرت رأسى عن مشهد مؤلم .. أن أحد جنودنا من سلاح الاشارة مازال يواصل عمله ويمد أسلاك التليفون التى قطعها العدو .. ويصيبه الرصاص ويقع ويتقدم واحد آخر من جنود الاشارة !

وكان الذى فى تصورى أن أتجه الى مركز فصيلة الحمالات والسرية السودانية المعسكرة الى الخلف وأن أجيء بها الى المعركة لسد الثغرة المفتوحة أمام العدو .

وأحسست أن العدو بدأ يغير مواقع ضربه .
فان القنابل بدأت تمر من فوقى متجهة الى حيث كنت أقصد .

كنت بمدفع التومى فى يدى أحاول أن أسبق القنابل التى كانت تعبر من فوقى لكى تلاقى المواقع التى أتجه اليها .
وفجأة أحسست بحافز خفى ..
صوت قنبلة مختلف عن باقى الأصوات .

كانت القنابل المندفعة فوق رأسى الى أهدافها تصنع فى اندفاعها صوتا خاصا بين الازيز والفحيح السريع الخاطف .
أما هذا الصوت الذى أسمعه فوقى فهو أشبه بخفق أجنحة الطير عندما يصيبه رصاص الصائد فيرف ويسقط على الأرض .

انى أعرف هذا الصوت .. انه صوت سقوط القنبلة عند وصولها الى نهاية مرماها ..

وألقيت نفسى بسرعة على الأرض فى حمى جدار منخفض متهدم .. وبعد ثانية واحدة أو ثانيتين سمعت الانفجار ورفعت رأسى فوجدت غبار الانفجار ما زال كدوامة الهواء على الناحية الأخرى من الجدار .
اذن فقد نجوت بضربة حظ غريبة .

ولم يكن هناك مجال للتأمل أو للتفكير فقد اندفعت الى منطقة فصيلة الحمالات ومنطقة الشئون الادارية وقلت لأول ضابط وجدته هناك :
ـ خذ كل الجنود واطلع الى منطقة المدرسة .
وعلمت أن السرية السودانية خرجت الى المعركة قبل وصولى بقليل !

وبدأ كل قادر على حمل السلاح يخرج .. خرج الطباخون .. وحتى سائقو السيارات .. وأقول سائقو السيارات لأنى مازلت أذكر أحدهم .
كان اسمه عزت .. وكان قلبه كالحديد .

ولم يكن يتردد أمام أى مهمة ٠

ولقد كان ينجو دائما بما يشبه المعجزات ٠

ولقد لقيته أخيرا منـــذ شهور فى مستشفى الجيش ٠٠ وكان مريضا فى المستشفى وعرفته وبدأت أحدثه وأتعـرف حالته ، وقال لى وعيونه فيها دموع أنه مصاب بسل فى العظام ، وقلت للطبيب الذى يعالجه :

ـ أما من وسيلة ؟

قال : عندنا لا ٠٠ ولكنهم قد يستطيعون عمل شىء له فى أمريكا ٠

وقلت : اذن يسافر الى أمريكا لكى يعالج هناك ٠٠ انه خير عندى من مائة من هؤلاء الباشوات الذين كانت سبل السفر مفتوحة أمامهم ٠

وانى لآسف أن أجل عزت لم يسـعفه ٠٠ فانه مات بمرضــه قبل أن تتم اجراءات سفره الى أمريكا ، حتى لعلاج أمراضه ٠

وعلى أى حال فلأعد للمعركة المشبوبة فى عراق المنشية !

للعدو الذى اقتحم نطاق دفاعنا ٠٠

للدبابات التى لم يقف فى طريقهـا شىء ٠٠ حطمت الأســـلاك الشائكة ، واجتاحت المواقع ، وأصبحت فى قلب البلدة ٠٠

للقنــابل الطائرة فوق رءوسنا ٠٠ الواقعة فى مثـل صـوت رفيف الحمام المضروب فوق رءوسنا ٠٠

لجنودنا الخارجين فى اندفاع اليائس الذى يغامر بآخر قطرة دم !

لجنود سـلاح الأشارة الذين يســـقطون وهم يحـاولون وصل ما انقطع من الأسلاك !٠٠

للطباخين ٠٠ للسائقين الذين خرجوا بما استطاعت أن تصل اليه أيديهم من سلاح وانطلقوا لملاقاة دبابات العدو التى ظهرت لأول مرة فى المعركة وبدا كأنها سيطرت على الموقف سيطرة كاملة !

كانت المعركة تبدو للوهلة الأولى محاولة يائسة ٠

ولكنى عندما التفت الآن الى الوراء ٠٠ وحين تستقر ذاكرتى على تفاصيلها العجيبة لا أستطيع أن أمنع نفسى من أن أقول :

ـ لقد كان ذلك يوما من أروع أيام حياتنا !

وحين أمضى أكثر وأكثر ، أستعرض الذى حدث ٠

منذ ظهرت دبابات العدو لأول مرة تهدر فى الطريق الى مواقعنا ٠

ومنذ اكتسحت هـذه الدبابات مواقعنا واخترقت نطاق الدفاعات المعـدة حولها !

ومنذ اقتحمت هذه الدبابات طريقا لنفســـها حتى وصلت الى قلب عراق المنشية ..

ومنذ خرجت من مبنى الرياسة حيث لم يعد يجدى تنظيم ، لـكى أدفع كل رجل قادر على حمل السلاح الى أن يحاول بجسده أن يوقف تقدم الدبابات .

حين أستعرض هذا الذى حدث بكل دقائقه .

ثم أتذكر كيف تطور هذا الموقف فى ساعة واحدة أعود فأقول :

ـ كان الله قائدنا فى هذه المعركة !

ثلاث دبابات !

كان كل شيء يتطور بسرعة غير معقولة !

كانت فصيلة الحمالات قد تقدمت الى وسط حقل مزروع بالتين الشوكى ، وكانت مدافع البيات الصغيرة ، التى تستطيع مقاومة الدبابات من مسافة قريبة، جاهزة فى أيديهم وكانوا فى انتظار من يصدر اليهم أمرا .

وكانت الأوامر التى بعثت بهـا اليهم مع أحـد الضباط أن يتقدموا ليقفلوا الثغرة التى فتحها العدو فى خطوطنا وتسرب منها الى داخل نطاق دفاعنا .

وكان الهجوم متجها اليهم ، وكانت كل الأصول والقواعد تفرض عليهم أن يعودوا الى الوراء ومع ذلك فانى حين طلبت الى الباشجاويش أن يتقدم ويصمد لم أجد الا حماسة منطلقة لا تلوى على شيء .

وتسلل واحد منهم وسط التين الشوكى ، وفى يده مدفع البيات ، وعـلى أعصابه تصميم فى متانة الصلب ، وظل ينتظر دبابة العدو حتى أصبحت على بعد عشرة أمتار منه ثم أطلق عليها مدفعه واذا الطلقة تصطدمها مباشرة وتمزقها فى لمح البصر .

وفى نفس الوقت كان ضابط الفصيلة التى اكتسحها العدو ومر فوق مواقعها يمسك مدفع بيات آخر يصوبه ويطلقه من بعد أمتار قليلة فاذا دبابة ثانية تنفجر وتتمزق .

ومضت ارادة الله .. التى تدير معركتنا ، تواصل عملها المقـــدس ، فاذا احدى الدبابات ، دبابة ثالثة ، تنفجر ، واذا بها قد مست لغما من الألغام التى كنا زرعناها على الأرض وما كان أقلها حول مواقعنا .

وهكذا بسرعة لم يقدرها أحد تعطلت ثلاث من دبابات العدو الست المتقدمة وأحس باقى القطيع من الدبابات أن الأمر يتطور على غير ما كان متوقعا فاذا هى تدير نفسها وتعود مضطربة الى حيث أتت .

بندقية جـــديدة !

ولم أكن أستطيع من مكانى أن أتابع الذى يجرى كله فى نفس الوقت ٠

كانت هناك دقائق من الفوضى والغموض هى دائما من مستلزمات المعـارك اليائسة ٠

ولكننى بدأت أحس أن الموقف فى كل ناحية قد تغير ٠

بدأت مدافع العدو تدق مواقعنا ٠

وكانت لذلك دلالة هامة ٠٠ معناها أن العدو سحب جنوده من حيث كانوا استطاعوا التقدم الى خطوطنا ، والا لما كان اســـتعمل المدفعية لـكى يصيبنا ويصيب جنوده معنا !

ثم مر من أمامى وأنا واقف والقنابل تنشر مظلة مروعة فوق عراق المنشية جندى يحمل بندقية جديدة ٠

ولمحت البندقية وناديته أسأله من أين جاء بها :

وقال بسذاجة مرحة تلعلع الفرحة فى نبراته :

ــ من اليهود يا افندى !

ثم بدأت التفاصيل تتجمع فى يدى ٠

لقد انتصرنا على العدو ٠

على الأقل صمدنا أمام هجوم بدأ ســـاحقا للوهلة الأولى لدرجة أن مواقعنا ديست بدبابات العدو ثم استطاع جنودنا أن يســـتردوا الأرض التى فقدناها ويردوا دبابات العدو على أعقابها بعد ضياع نصف عددها تماما وتعطله !!

وكان خير دليل على غيظ العدو وجنونه مما حدث ٠٠ هـذا الضرب المركز بالمدفعية على عراق المنشية ٠٠ كان ضربا حاقدا مفلوت الأعصاب !!

الجرى وراء نيشـــان !

وعدت الى مركز الرياسة ٠

كنت قد غادرته منذ ساعة والهزيمة تكاد تهوى فوق رءوسنا ٠

وهأنذا أعود اليه بعد ساعة عشنا فيها نصرا أشبه بمعجزات السماء !

ولقد كنت أدرك أن الأمر لن يبقى طويلا على هذا الوضع ٠

كان لابد للعدو أن يعاود الكرة ٠

لسوف يدركنا بمدافعه كما يشاء له جنونه ، وبعدها يعود الى الهجوم علينا حين يدرك أن قنابله حطمت مراكزنا وأرواحنا أيضا !

ولم يكن عندى وقت أضيعه ٠

وأبلغت ما حدث بالتفصيل الى قيادة اللواء وطلبت بأسرع ما يمكن اى عدد من المدافع المضادة للدبابات ٠

ولقد كنت أدرك أنى أطلب مخاطرة ، فان الطريق المؤدى الينا يضربه العدو ويسيطر عليه عند كراتيا ومعنى ذلك أن القوة التى ستأتينى بالمدافع سوف تعرض نفسها لخطر كبير ٠

ومع ذلك فان ضابطا شابا باسلا قام بثلاث سيارات وأربعة مدافع وملأ سيارتين منها بذخيرة الهاون ٠٠ واستطاع أن يصل الينا تحت النار ٠٠

وطلبت له نيشانا حتى نشعره بتقديرنا لعمله ٠٠ وظللت بعد الحصار أجرى وراء النيشان حتى حصل عليه صاحبه أخيرا !!

أين عثرنا عليهم ؟ !

وأعدت تنظيم صفوفنا على الوضع الجديد ٠

وضعت ثلاثة مدافع مضادة للدبابات عند المنطقة التى هجم منها العدو ، وكنت أتوقع أن يعود منها اذا كرر الهجوم فقد تصورت أن العدو سيعتقد أننا سنحتاط له فى كل مكان الا المكان الذى هاجم منه فعلا ولم ينجح ٠

وفى الساعة العاشرة صباحا ٠٠ بدأ العدو هجومه الثانى ٠

وتقدمت ست دبابات ٠٠ تقدمت فى اطمئنان وهدوء واثقة اننا لا نملك مدافع مضادة للدبابات والا كنا استعملناها فى الهجوم الأول ٠

وظلت مدافعنا المضادة للدبابات ملازمة للصمت ، بينما مدافع الهاون وحدها هى التى تطلق النار من خطوطنا ٠

ثم جاء الوقت الذى كان يجب أن تثبت فيه مدافعنا المضادة للدبابات وجودها فقد اقتربت الدبابات من الاسلاك حول مواقعنا ٠

وضربت المدافع الثلاثة فى نفس واحد ٠٠ وأصيبت دبابتان من دبابات العدو واستدارت بقية الدبابات عائدة وقد أذهلتها المفاجأة ٠

وحاولت دبابات العدو مرة أخرى عند العصر أن تتقدم ولكن النار القوية التى واجهتها جعلتها تقنع بالعودة دون اشتباك ٠

وهكذا حين جاءت الساعة الخامسة مساء كانت الروح المعنوية فى كتيبتنا أعلى وأقوى مما كانت فى أى يوم من الأيام !

وخرجت أمر على جنودنا ٠

كانت الثقة بالنفس تطل من عيونهم ، وكان التصميم الأكيد يطبع كل حركاتهم ٠

وكنت سعيدا وفخورا ، والشيء الوحيد الذى كان يضايقنى أن كثيرا من زملائنا فى السلاح ٠٠ من الجنود والضباط قد سقطوا على أرض المعركة ٠٠ وكانت الأرض التى سقط عليها بعضهم تروى قصصا عجيبة عن الشجاعة والفداء ٠

لقد عثرت احدى دورياتنا التى خرجت فى الليل على جثث بعض السواقين والطباخين الذين انطلقوا للمعركة اليائسة ٠٠ عثرت عليها بعد الأسلاك الشائكة التى تحمى مواقعنا وكان معنى ذلك أن هؤلاء الجنود الأشداء لم يكتفوا بأن يردوا العدو ٠٠ بل خرجوا لمطاردته على الأرض الحرام بين خطوطنا وخطوطه ٠

ماذا حدث ؟ !

وجلست تلك الليلة فى مركز رياسة كتيبتنا أحاول أن أتصور الموقف كله!

لقد كان الذى لا يقبل الشك فى تصورى ، أن هجوم العدو علينا فى عراق المنشية جزء من خطة عامة ، ولقد فشل العدو أمام مواقعنا فماذا جرى لخطته العامة ، وهل سيحاول تنفيذها فى مكان آخر !

ولو كانت لى القدرة على الرؤية البعيدة يومها لعلمت أن ما كنت أتصوره لم يبتعد كثيرا عن الحقيقة ٠

كانت للعدو فعلا كما أثبتت التطورات بعد ذلك خطة عامة ٠

وكانت هذه الخطة مبنية فى مرحلتها الأولى على اختراق مواقعنا ٠

فلما فشل العدو فى محاولته معنا لجأ الى طريق آخر فهجم على تقاطع الطرق عند عراق سويدان ٠

ومرة خرى لو كانت لى القدرة على الرؤية البعيدة لكنت رأيت الكولونيل بيجال آللون الذى كان يقود قوات العدو فى معارك النقب وهو يخطب فى جنوده لكى يشجعهم ثم يخرج بهم الى معركة تقاطع الطرق ٠

وهناك ، ولسوء الحظ ، يلتقى قائد العدو مع النصر !!

ولقد تلقيت سقوط موقع تقاطع الطرق عند عراق سويدان بدهشة ٠

لقد كنت أدرك أن الموقع بالغ الأهمية بالنسبة لنا فان سقوطه معناه عزل قواتنا على القطاع الممتد من عراق سويدان الى الخليل عن مجموعة الجيش الرئيسية العاملة على الخط الساحلى بين غزة وأسدود ٠

وكنت أعرف أن قوتنا فى هذا الموقع هائلة ٠

ولست أذيع سرا اذا قلت الآن أن اثنى عشر مدفعا من مدافع الفيكرز كانت تحمى هذا الموقع !

ولقد صدقت الكارثة بعد أن علمت التفاصيل !

ولقد كان يجب أن تحل بنا هذه الكارثة ولم يكن معقولا أن يكون نصيبنا غيرها ازاء الحال التى كانت الأمور عليها هناك ·

كان هذا الموقع فى حماية الكتيبة التاسعة ·

ولكن قائد الكتيبة كان فى أجازة ·

وقتل قائدها الثانى فى ضربة مباشرة لقنبلة هاون ·

وركب قائدها الثالث سيارة وانطلق بها ولم يتوقف الا فى الاسماعيلية ·

أما القائد الرابع فقد ترك الكتيبة وذهب الى القيادة العامة فى المجدل ·

ومن سوء الحظ ان عبد الحكيم عامر الذى كان أركان حرب هذه الكتيبة كان قد نقل منها ليعمل أركان حرب للكتيبة الثانية ·

وأقول ـ وأنا واثق أن الصداقة وحدها ليست هى المنبع الذى يصدر عنه قولى ـ انه لو كان عبدالحكيم عامر ما يزال أركان حرب لهذه الكتيبة لتغير مجرى المعركة ولما استطاع العدو ببساطة أن ينجح فى هجومه الليلى على الموقع ويدخله مفاجأة وغدرا ·

عملية جــراحية !

كان الطريق بيننا وبين المجدل قد قطع بسقوط تقاطع الطرق ·

وضرب العدو ضربته الثانية حين تقدم من خربة الأمير الى الطريق الرئيسى فاحتل جنوبه أيضا كما احتل شماله وقطعنا عن بيت جبرين ·

اذن فقد أصبحنا محاصرين تماما من الشرق ومن الغرب ·

وبدأت أدرك اننا على أبواب أوقات عصيبة ·

كان الموقف أكثر من خطير ، وكان العدو نشيطا الى حد يفوق طاقة الاحتمال

بدأت الغارات الجوية على مواقعنا تزداد كثرة وشــدة ·· واختفى طيراننا تماما ولم نعد نراه ·

وراحت مدفعية العدو تصب الحمم فوق رءوسنا لا تهدأ لحظة ولا تتركنا نهدأ

وكان أكثر ما يضايقنى فى ما حدث أنه كان بين قواتنا عدد كبير من الجرحى وكان الذى أتمناه أن نجد طريقا نستطيع منه اخراج الجرحى الى حيث نضمن لهم العلاج وكان بقاؤهم بيننا يضغط على مشاعرنا ضغطا عنيفا قاسيا ·

وكان هناك بعض المرضى الى جانب الجرحى ، ولقد دخلت فى الصباح عـلى صـديق فاذا هـو يتلوى من الألم واذا الفحص يثبت أنه يعانى أزمة عنيفة فى المصران الأعور وأنه من الضرورى أن تجرى له جراحة عاجلة والا انفجر المصران·

ولكن كيف يمكن أن تجرى له العملية الجراحية ·

وخرجت ثائرا أطلب الى حمالاتنا أن تخرج لاستكشاف طريق آخر للوصول الى بيت جبرين ٠

أين كان ؟ !

وهممت فى ذلك اليوم أن أرفع جهاز اللاسلكى وأضربه فى الأرض لأمزقه وأستريح من الهراء والهذر الذى كان ينصب علينا بواسطته ٠

فلقد جاءتنا الأخبار أن مجلس الأمن عاد فأمر بوقف القتال ٠

الآن تحرك مجلس الأمن ٠

أين كان ، وأين كان الخطباء فيه ؟!

لقد تحرك العدو يوم ١٥ اكتوبر ولكن مجلس الأمن أغلق عينيه وسد أذنيه وحبس لسانه ٠

ومضت أيام ١٧ و ١٨ و ١٩ و ٢٠ وفيها استطاع العدو أن يقطع خطوطنا واذا مجلس الأمن يفتح عينيه وأذنيه ويصدر أمرا بوقف القتال ٠

هى خطة مرسومة ٠

هى مؤامرة علينا ٠

هو لعب بأقدارنا ومصائرنا وأعمارنا ٠

هو هزل وعبث ٠٠ والنار المصوبة فوقنا والطرق المحاصرة حولنا لا تسمح لنا أن نشترك فيه !!

مؤتمر فى الفالوجا !

وفى صباح يوم الخميس ٢١ اكتوبر دعينا الى مؤتمر فى الفالوجا ٠

وكان المؤتمر لقواد الكتائب فى المنطقة المحاصرة وأركانات حربها !

وكانت هذه الكتائب ثلاثا هى الكتيبة الأولى والكتيبة الثانية ، وكتيبتنا السادسة !

ورأس المؤتمر الأميرالاى السيد طه قائد الكتيبة الأولى ٠

وقال لنا السيد طه أنه تلقى من رياسة القوات أمرا انذاريا بالاستعداد للانسحاب على أن يرتب أمره لبدء الانسحاب فى الساعة السادسة والنصف بعد أن يتلقى أمرا تأكيديا بالبدء فيه ٠

وكان من رأيى أن هذا خير ما نصنعه ٠

لقد كنا ثلاث كتائب هى ثلث الجيش المصرى فهل يعقل أن يبقى ثلث الجيش المصرى مستسلما للحصار فى مواقع سدت عليه من الشرق ومن الغرب ٠



الضبع الاسود القائمقام سيد طه والى جواره
اليوزباشى عبد المحسن أبو النور أثناء حصار الفالوجه

هذا من ناحية ٠

ومن ناحية أخرى فقد كنت أرى بقاءنا فى هذا الخطر لم يعد له غرض ٠ لقد كنا هنا لكى نفصل النقب الجنوبى عن الشمال ، ولقد اتصل النقب الجنوبى مع الشمال فلماذا بقاؤنا ؟!

ومن ناحية ثالثة فقد كنت أشعر ان انسحاب ثلاث كتائب الى الخليل سوف يرغم العدو على توزيع قواته بينها وبين مجموعة الجيش الرئيسى على الساحل ٠

بدا أن كل من فى المؤتمر مقتنع بهذا الرأى الا رئيسه الأميرالاى السيد طه

ومع ذلك فلم يسعه الا أن ينزل على الاجماع ويلتفت الى ليكلفنى بوضع الخطة المفصلة للانسحاب بواسطة الطريق الجانبى الذى لم ينتبه اليه العدو والذى بعثنا الجرحى منه الى بيت جبرين !

وانتحيت ركنا من قاعة الاجتماع أرتب الخطة ولم يقدر لى أن أتم وضعها فما لبث السيد طه أن تلقى أمرا ثانيا من رياسة القوات يقول :

« يلغى الأمر السابق بالانسحاب حافظوا على مواقعكم ٠

أمر ايقاف القتال صادر لمصلحتنا !

المجهول حولنـــا !

وكان ايقاف ضرب النار طبقا لقرار مجلس الأمن يبدأ فى الثانية من بعـد ظهر يوم الجمعة ٢٢ اكتوبر ٠

وأوقفنا الضرب فى الموعد المحدد ولـكن العـدو لم يوقف ضربه ولا أوقف قواته عن احتلال المواقع التى يستكمل منها حصارنا ٠

وكنت فى قلبى أتمنى أن يركز العدو جهـده على طريق الأسفلت الرئيسى وينسى الطريق الجانبى الى بيت جبرين حتى يظل منفذا مفتوحا أمامنا ٠

ولكن الأمانى شىء والواقع شىء آخر ، فلقد طلع صباح السبت ٢٣ اكتوبر واذا العدو قد احتل الطريق الجانبى وحصن مواقعه عليه ومعنى ذلك أن حصارنا قد كملت حلقاته ولم يعد خلاله منفذ ٠

وفى الساعة الواحـدة عند الظهر تلقى السيد طه أمرا جـديدا من رياسة القوات بالانسحاب الى الخليل ٠

ولكن واأسفاه ، فان الفرصة كانت قد أفلتت ٠

ان طول التردد جعل الذى كان ممكنا بالأمس مستحيلا تمام الاستحالة فى اليوم ٠

لقد قطع الطريق الخلفى الذى كنا نعتمد عليه ٠

لقد كان ممكنا أن ننسحب فى سلام منذ ساعات ٠

ولكن الوضع الآن يحتم علينـا أن نخترق حصار العـدو ، ونقتحم خطوطه ونحن نحمل سلاحنا ومدافعنا ونتحرك على الطريق ٠

واضطررت عند الظهر وقد استبان الموقف من كل نواحيه أن أصـدر أمرا

بتخفيض المؤن اليومية للضباط والجنود الى ربع ما كانت عليه .

يجب أن نرتب أنفسنا للمجهول الغامض الذى يحيط بنا !!

منشورات العدو

وقضينا ليلة عجيبة تحت معركة مثيرة من حرب الأعصاب .

طارت طائرات العدو على مواقعنا تلقى المنشورات .

وأمسكت أحدها أقرؤه .. كان بيانا موجها الينا على النحو التالى :

« أيها الضباط والصف والعساكر باللواءين الثانى والرابع »

ومضيت أقرأ المنشور حتى آخره .. ودمى يغلى كان نصه كما يلى :

« أيها الضباط والصف والعساكر باللواءين الثانى والرابع »

هل تعلمون أنكم محاطون ؟! ان اللواء الثانى محاط وكذلك اللواء الرابع ولا توجد أى وسيلة للاتصال بينهما ولا مفر من الاحاطة !

هل تعرفون ما معنى الاحاطة ؟ ان الاحاطة معناها الفناء والموت وأنكم لتشعرون بذلك فى المستقبل القريب ولا يستطيع قوادكم أن يبروا بوعودهم الكاذبة قائلين بأن النجدات من الرجال والمهمات والوقود ستصلكم قريبا .. كلا !..

احتلت القوات الاسرائيلية بئر السبع ، بعد ما دقت قواتكم دقا وسحقتها سحقا تاما ، واذا اتكلتم على النجدات التى سيبعثها الملك عبد الله ، فاعلموا أنه لا ينوى الا طرد قواتكم من قواعدها فى بيت لحم والخليل .

فانكم ترون الآن فى هذه البلاد نتائج الدعاية الكاذبة التى كنتم تصدقونها قبل ما أرسلتم من مصر . وصف قوادكم وساستكم مرحلة فلسطين بأنها سهلة ووعدوكم بالغنائم وبالتمتع . أين الغنائم ؟ وأين التمتع ؟ فلم تجدوا هنا الا المصائب ولم تلاقوا الا الخسائر الفادحة ، ولن تلاقوا غير هذا فى المستقبل . وقد شاهدت عيونكم بأن اليهود يعرفون الدفاع عن وطنهم وأراضيهم ويحسنون التحارب فانهم لم يحتلوا بلادا غريبة ولم يفتكروا — ولا يفتكرون — فى احتلال أى بلاد ليست لهم .

واذا تطلعتم بالخريطة تبين لكم أن الجيوش الاسرائيلية تحيطكم احاطة السوار بالمعصم .

وعليكم أن تختاروا : اذا أردتم البقاء فى الحياة فاستسلموا وستعودون سالمين الى بلادكم واعلموا أن كذب من قال بأننا نقتل الأسرى فهذه أقبح دعاية اخترعها قوادكم الذين ينتظرون الأوسام والنياشين ولا يكترثون بموت المئات والألوف من جنودهم .

هل لهم النياشين ولكم الفناء ؟!

قد أمر اللواء أحمد بك محمد على المواوى الجنود المحاطين فى بيت عفا وفى عراق السويدان ، بالقتال حتى الموت .

ولـكن أين سـعادة صاحب العزة الآن ؟ أنه ولى دبره تولية الجبـان بعـد ما أسرنا من ضباط رئاسته ٠

وأين قائد بئر السبع ؟ قد ترك جنوده منهزمين وهرب ٠

فر فى التقاطع وثبت الجيش ، كان القائد أول الهاربين ٠

وكذلك فى الحليقات وغيرها من المواقع التى احتلتها قواتنا ٠

افتكروا قبل الموت ! اصغوا الى أخوانكم الأسرى يدعونكم للاستسلام أنجوا بأنفسكم واستسلموا !

كل من يحضر وبيده هذا المنشو ستؤمن حياته ويعود سالما الى بيته ٠

أيها الضباط اعلموا أننا سنحترم حقوق مندوبكم الذى يتقدم حامل الراية البيضاء لتجرى معه المفاوضات ٠ وثقوا باحترام حقوقكم العسكرية فى أديارنا٠ أعلمتم ! أنذرتم » ٠

راية بيضـــاء !

وفى الصباح بدأت مرحلة جديدة من حرب الأعصاب ٠

جاءنى أحد الجاويشية يقول : ان سيارة مدرعة ، من سيارات العـدو واقفة على الطريق خارج مواقعنا رافعة راية بيضـاء وعليهـا ميكرفون يصرخ بأعـلى صوته :

« ضابط اسرائيلى يطلب مقابلة ضابط مصرى »

وركبت سيارة جيب وطرت الى هذا الموقع واذا السيارة واقفة حيث سمعت والراية البيضاء ترفرف فوقها والميكروفون ما زال يصيح :

« ضابط اسرائيلى يطلب مقابلة ضابط مصرى »

وقررت أن أذهب بنفسى ٠

وطلبت من جنودنا أن يرفعـوا البوابة التى تسد الطريق أمـام مواقعنا ثم قفزت الى سيارة الجيب كما أنا ٠

كنت مرتديا بنطلونا عسكريا وبولأوفر من الصوف الكاكى اللون ٠

وقفز معى الى الجيب اثنان من زملائنا الضباط ٠

وجاء معنا جاويش يمسك مدفعا من مدافع التومى ٠

وانطلقت بالجيب بأقصى سرعة على الطريق فى المنطقة الحرام بيننا وبين العدو تجاه المدرعة التى ترفع العلم الأبيض وتطلب بأعلى صوتها ضابطا مصريا لـكى يقابل ضابطا اسرائيليا !

الـكبرياء والعنجهية !

كان الجو غريبا مثيرا ٠

وكانت مشاعرى وأنا منطلق بسيارة الجيب على الطريق متباينة ٠

هاهى احدى مدرعات العدو أمامنا تطلب واحدا منا ٠

وها أنا منطلق اليها لأقابل أحد الضباط الذين كنت أجاهد لقتلهم وكان

هو أيضا من ناحيته يجاهد لقتلى ٠
وكان موقفنا كما أعلم ٠
حصار كامل ، ونار لا تهدأ ، ودبابات وطيارات ومنشورات أيضا !
وكان الصمت على الطريق كاملا الا دوى محرك الجيب ٠
وأوقفت سيارة الجيب فى حذاء مدرعة العدو ملاصقة ٠
واطل ركابها من ضباط العدو علينا وفى عيونهم دهشة ثم استجمع واحد منهم كبرياءه وشد رأسه فى عنجهية مكشوفة وقال بالانجليزية :
« أنا المساعد الشخصى للقائد العام لهذا القطاع ٠
وأنا مكلف بأن أشرح لكم موقفكم ٠
انكم محاصرون من كل ناحية ٠
ونحن نطلب اليكم التسليم » ٠
وقلت له فى هدوء ، فقد نزلت على أعصابى سكينة غريبة :
« أما الموقف فنحن نعرفه جيدا ٠٠ ولكن الاستسلام لن يحدث » ٠
ثم قلت دون أن تختلج فى صوتى نبرة :
« نحن هنا ندافع عن شرف جيشنا » ٠
وبدأ يتكلم بالعبرية وأحد مرافقيه يترجم !
ثم عاد يتكلم بالانجليزية ٠
ثم تنازل عن كبريائه وبدأ يتكلم العربية وهو يشرح لنا الموقف حولنا ٠
وقلت له : انك تحاول عبثا ونحن نرفض الاستسلام ٠
وحملق فى وقال فى استنكار :
ـ ألا ترجع الى قائدك تسأله ؟
وقلت له :
ـ هذا موضوع ليس فيه مجال لسؤاله ؟

وحملق فى ٠٠ وساد الصمت بعض الوقت وهو ينظر الينا ونحن ننظر اليهم وفجأة أحسست أن قناع الكبرياء المصنوع على وجهه كله يرتفع وقال فى صوت خافت مؤدب :

ـ لنا طلب انسانى عندكم ؟٠٠

قلت :

ـ ما هو ؟

قال :

ـ نريد أن نسحب قتلانا عندكم من المعركة السابقة ٠٠ أنت تعرف أن أهل القتلى يحبون الاحتفال بدفن أبنائهم فهل تمانعون ؟

ونظرت ، وصوته الخافت المؤدب يثير فى أعماقى شعورا غريبا بالراحة والرضاء :

ـ نحن نوافق لكم على هذا الطلب الانسانى !

وحين عدنا الى مواقعنا مرة أخرى عبر الطريق ، كانت سيارة الجيب الصغيرة التى كنا فيها تضج بالضحك والمرح ٠

كنا نقارن بين بداية المقابلة ونهايتها ٠

العنجهية والكبرياء عند طلب التسليم ٠

والأدب والحياء عند طلب جثث القتلى !!

■ بعد مذكرات الرئيس ٠٠

وهنا تتوقف مذكرات الرئيس جمال عبد النـاصر ، فقد سافر وقتها الى باندونج ، ثم تلاحقت الحوادث بعد ذلك كما سنفصله لتصل الى العدوان الثلاثى فى عام ١٩٥٦ ٠

ولكننا نلخص بعد ذلك الأحـداث التى وقعت ، لنستكمل صـورة الحرب الفلسطينية ، ونتائجها على مصر ، والعالم العربى ٠

وصف جورج فوشيه ما حدث فى الفالوجة ، وعراق المنشية أثناء الحصار ٠٠ قال (١) :

كما تستطيع الفالوجة المقاومة ، يجب ألا تقع عراق المنشية فى يد العدو ، اذ لم يفصلها عنها سوى كيلو مترين ٠٠ وكان هذا القطاع بقيـادة المقدم جمال عبد الناصر ، وكانت القرية تقع على طريق المجدل ـ بيت جبرين ، وقد تعرضت لضرب مدفعية العدو ، مما اضطر قسما من أهلها الى الالتجاء لغزة ٠ وكان مركز القيادة مقاما الى شمال الطريق ٠ وكانت القوات المصرية موزعة فى الخنادق ، أو مختبئة فى ما تبقى من بيوت القرية ٠

وكان المقدم جمال عبد الناصر ، قد نظم بعناية فائقة الدفاع عن القرية ٠ فالخنادق التى فى القرية ، كانت قد طغت عليها ميـاه السيول ٠ وكانت أماكن ساترة للجنود ، وصل كل منها بمخرج ٠ وكانت تتيح للجنود أن يتمددوا على الأرض الجافة أثنـاء فترات الهدوء ٠ وكان النقيب عبد الخالق أبو دية ، مع كتيبتين احداهما سودانية ، مكلفا بالقطاع الجنوبى ٠ وكان فى حـوزته مدافع هاون من أربع بوصـات ، ورشاشات فيكرز جيـدة ٠ ولـكن الذخيرة كانت محدودة ٠

وكانت العلاقات بين الجنود والسكان المدنيين متينة قوية ٠ فالقمح المخزون فى بيوت أهل القـرية اشـتراه ضباط التموين وادخـروه ٠ وكانت المطاحن اليدوية تحوله الى دقيق ٠ وكان الأهالى يتسللون ليلا الى غزة ، ومعهم ايصالات

(١) جمال عبد الناصر فى طريق الثورة : ص ٢٥٧ طبعة بيروت

الدفع ، ويحصلون على الثمن . وبهذا كفل تعاون متين بين ٨٠٠ من الأهالى والقوة المصرية .

وفى هذه الأثناء شن اليهود هجوما عنيفا على رفح ، لقطع اتصال مصر بقاعدة غزة . ولكنهم ردوا على أعقابهم مهزومين على يد القوات المصرية التى كان يقودها اللواء أحمد فؤاد صادق ويعاونه عبد الحكيم عامر .

وفى نفس الوقت وجهوا نيران مدفعية مركزة شديدة على عراق المنشية من التلال المحيطة بها . وبعد يومين من ضرب المدفعية ، فى الساعة الثانية بعد منتصف ليل ٢٨ ديسمبر سنة ١٩٤٨ تحرك العدو تحت ستار ضباب ومطر غزير ظل يسقط ، واستولى على المطاحن والفرن ومستودع السيارات والمؤونة ، وجمع المدنيين وأخذهم أسرى . ووصل الى المسجد حيث كان يرقد ١٢٠ جريحا ومريضا . وعلم جمال بالحالة من النقيب أبو دية . فقابل الموقف بهدوء ورباطة جأش ، ولم يكن لديه فى مركز القيادة سوى القليل من الرجال ، فسحب من الخنادق الخارجية الجنود الذين كانوا يعسكرون فيها ، حتى جمع مائة رجل ، وصفهم فى هدوء تام وراء صف الأشجار الذى يحاذى الطريق ، وأمرهم ألا يطلقوا النار الا عندما يظهر العدو معتقدا ألا مقاومة فى طريقه ، بحيث تصيب كل رصاصة هدفها .

وفى نفس الوقت اتصل جمال من موقعه ، بزميله زكريا محيى الدين فى الفالوجة ، وطلب منه مددا ، وأن تبدأ مدفعيته فى اطلاق نيرانها على خط الدفاع الكائن جنوبى غرب عراق المنشية ، فى وقت حدده ، وهو الفجر تماما . وعلى الرغم مما فى حرب المدفعية من خطر على الجنود المصرية التى كانت ماتزال تحتل قسما من القرية ، الا أن العملية استوجبت هذه الخطة .

وتحركت قوات اليهود : خمسون دبابة ، وخمسمائة رجل ، ووقعوا بين نيران من الفالوجة ، ونيران من أبو دية . وكانت مفاجأة تامة لليهود . وقد حسبوا أن حصار شهرين ، وضرب المدفعية ثلاثة أيام بلياليها أوهن قوى الدفاع فاذا بالأمر على غير ما حسبوه .

استمرت المعركة خمس ساعات ، اشترك فيها حتى الجرحى المصريين الذين كانوا فى الجبس ، وقد انسحب اليهود تاركين وراءهم ٣٠٠ (ثلاثمائة قتيل) .

* * *

ونعود الى بعض المعارك التى حدثت فى قطاعات أخرى .

- كان مفروضا أن يقوم طابور الى الشرق لاحتلال بير سبع ، ولكن ظهر من كثرة المستعمرات فى الطريق الشمالى وعنف المقاومة أن القوة لا تكفى الهجومين . وتقدم أحمد عبد العزيز قائد الفدائيين بالقيام بهذه المهمة ، وتحرك فعلا فى ١٩ مايو سنة ١٩٤٨ الى بير سبع من طريق جانبى . وقد تمت العملية بنجاح . وتمت اشتباكات كثيرة مع المستعمرات المحيطة ببير

سبع • وفقدت قوة الفدائيين اليوزباشى أنور الصيحى فى هـذه العمليات • وكان من خيرة الشباب الوطنى • وتابعوا زحفهم حتى بيت لحم ، حيث التقوا بقوة أردنية ، ثم تابعوا جميعا الزحف الى القدس ، وبعد قتـال استمر ١٣ يوما استولى المصريون مع بعض الأردنيين على القدس القديمة •

وفى ٤ يونيو سنة ١٩٤٨ وصلت قوات مصرية نظامية من بيت جبرين ، وتم حصار القدس الجديدة ، وفيها نحو ١٠٠ ألف يهودى •

● لما أعلنت الهدنة الأولى ، لمدة ٤ أسابيع ، أخذ اليهود ينظمون أنفسهم بسرعة ويجدون فى استكمال سلاحهم • وكانت سياراتهم رافعة علم الهدنة الأبيض تخترق الخطوط المصرية ، حاملة العتـاد والتموين الى المستعمرات المنعزلة ، وهى آمنة من التعرض لها •

وانك لتسأل عن سـبب قبول الهدنة الأولى ، أو النكبـة الأولى ، فتجـد السبب ، فى أن الأسلحة والذخائر المصرية لم تكن تسعف ضباطنا وجنودنا فى القيام بمهمتهم • فكثير منها فاسـد ومغشوش • وكثير منها قديم غير صـالح للعمل • وقد كشفت قضية الأسلحة الفاسدة عن المآسى التى حـدثت ، عندما احتاط السماسرة وعمـلاء اليهود بفاروق ، وأخـذوا يغترفون الأموال ، بحجة توريد سلاح وذخائر ، مقابل عمولات ضخمة تودع باسم آخـر الملوك فى بنوك سويسرا •

وقد بلغ من سوء حالة الذخيرة ونقصها ، أن طائرة حربية مصرية أرسلت الى السودان ، لكى تحمل ذخيرة القوة المصرية هنـاك ، وعادت الطائرة ببضعة صناديق ، لا تساوى أكثر من مائة جنيه ، ويمكن استهلاكها فى خمس دقائق ، فى حين أن رحلة الطائرة تكلفت خمسة آلاف جنيه •

الهدنات القـاتلة

ويمكن تحديد مواقع الجيوش العربية عند الهدنة الأولى كما يلى :

- وصل الجيش المصرى الى أسدود وبيت لحم ، وترك خلفـه بعض المستعمرات والقوات اليهودية المتحركة على الطرقات •
- وضع الجيش الأردنى يده على حى الشيخ جـراح فى القدس ، وهـو عربى ، واستولى على حارة اليهود فى القدس القديمة ، واحتفظ بموقع اللطرون •
- استولى الجيش اللبنانى مع وحدات الانقاذ بقيادة فوزى القاوقجى على معسكر المالكية ، وتقدمت قوات الانقاذ الى مدينة الناصرة فى الجليل •
- اكتفى الجيش العراقى بموقعه عند مدينة جنين ، ولم يواصل التقـدم اذ لم تصله أى أوامر بالتقـدم ، حتى بعد أن وصـلته تعزيزات ، وكانت الكلمة المتداولة باللهجة العراقية « ماكو أوامر » أى لا توجد أوامر •
- تقدم الجيش السورى الى جسر بنات يعقوب ، وتوقف بعد أن احتل مستعمرة مشمار هارون •



القائد الأردني عبد الله التل يصافح موسى ديان فى القدس أثناء مقابلة تمت فى القدس لعمل بعض اتفاقات خاصة بالهدنة المفروضة من مجلس الأمن .. وقد حضر القائمقام أحمد عبد العزيز قائد الفدائيين هذا الاجتماع ويرى على يمين الصورة ، ورفض أن يصافح موسى ديان . وانصرف من الاجتماع .. وبعد ساعتين اصابته رصاصة خاطئة فاسلم روحه راضيا مرضيا

فى اليوم التالى للهدنة ، هاجمت طائرات اليهود دمشق ، وكان وسيط الهدنة الكونت برنادوت يتناول الغداء على مائدة شكرى القوتلى ، رئيس الجمهورية فى ذلك الوقت ٠٠ وقد وصف الرئيس جمال عبد الناصر هذه الهدنة والهدنات التالية بقوله :

« كانت أيام القتال بالنسبة لنا حربا ، ولا حرب ٠ وبالنسبة لليهود حربا فقط ٠ وأصبحت أيام الهدنة بالنسبة لنا سلاما ولا سلام ٠ ولم تصبح بالنسبة للعدو سلاما قط ٠ »

وفى يوم ٩ يوليو سنة ١٩٤٨ انتهت الهدنة الأولى ٠ وبعد يومين انسحب الجيش الأردنى من « اللد » و « الرملة » فجأة ٠ وتركهما لليهود ٠ كما تخلى عن مواقعه فى منطقة الجنوب ، وبهذا ركز اليهود هجومهم على الخطوط المصرية ٠
وأصبح واضحا أن القوات العربية الأخرى ، كانت ملزمة بتنفيذ سياسة حكوماتها ، وهى الوقوف عند خطوط التقسيم ٠

وفى ١٨ يوليو سنة ١٩٤٨ أعلنت الهدنة الثانية ، بعد تسليم الملك عبد الله لأهم المواقع العربيـة ، وهى اللد والرملة ٠ وقد وضح أن الملك عبد الله قرر الانسحاب من هذه الحرب مكتفيا بقطعة من جسم فلسطين منحها له اليهود ٠ أى أن من لا يملك أعطى من لا يستحق ٠٠٠

أما وقد اطمأن اليهود الى أن الجبهة الوحيدة التى تحاول قتالهم هى الجبهـة المصرية ، بعد أن تأكد لها من عمان وبغـداد ، أن الموقف الحربى انتهى بالنسبة لقواتها ٠٠ فقد اتجه المجهود الحربى ـ أثناء الهدنة ـ ضد الجيش المصرى ٠

ففى شهر اكتوبر سنة ١٩٤٨ ، حاول اليهود أن يأخـذوا قواتنا على غرة ، فدار قتال عنيف جدا فى أكثر من موقع ، وظل هذا الهجوم مستمرا خلال شهرى نوفمبر وديسمبر ، وشدد اليهود الضغط على المجدل ، وحاصروا الفالوجة ٠

وتقع الفالوجة على بعد ٤٠ كيلو مترا من غزة و ٧٥ كيلو مترا من القدس ٠ وعند وقوع هجوم ـ الهدنة !! ـ كان اللواء الرابع يرابط فى هذا الموقع ، بقيادة القائمقام السيد طه المعروف باسم الضبع الأسود ٠ وبدأ حصار هذه القوة فى ١٦ اكتوبر ، واستمر ١٣٠ يوما ٠ وكل هدف اليهود ، هو أخذ أفراد اللواء كله أسرى ، أو بالقليل السماح لهم بالمرور دون أسلحتهم ٠ ولكن لم يتحقق أى من هذه الأهداف ، فقد قاومت القوة كل وسائل الضغط ، وكان تموينها يتسرب لها عن طريق قوافل فدائية ، كانت تخترق دروبا غير مطروقة ٠

وقد حاولت القوات العراقية أن تتصل بقوات الفالوجة ٠ ولـكن جلوب ، قائد الأردن الذى كان بقواته فى الطريق ، حال دون اتمام هذه العملية ٠٠ ولم تكن قوات العراق مأمورة بهذا الاتصال ولكن حمية رجالها هى التى أدت الى هذه الحركة ، التى لم تتم ٠



رالف بانش
الوسيط الثانى لهيئة الأمم وقـد نجح فى
عقد الهدنة الدائمة التى أوقفت حرب فلسطين

وفرضت هدنة ثالثة ، بعد الهدنة الثانية التى نقضها اليهود ، وذلك فى ٧ يناير سنة ١٩٤٩ · وفى جـزيرة رودس اجتمع منـدوبون عن مصر واسرائيل بحضور « رالف بانش » وسيط هيئة الأمم ، ووقع اتفاق بهدنة دائمة فى ٢٤ فبراير سنة ١٩٤٩ ، الغرض منها انهاء عمليات القتـال ، وليس الصلح ، أو اقرار من مصر بالحالة التى نشأت فى فلسطين منذ ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ ·

وبمقتضى هذا الاتفاق انسحبت قوات الفالوجة بكامل أسلحتها ، ابتداء من ٢٦ فبراير سنة ١٩٤٩ ، وتم تبادل الأسرى خلال عشرة أيام من توقيع الهدنة ، ووضع قطاع غزة ــ وحده الشمالى ١٥ كيلو مترا شمالا ــ تحت سيطرة القوات المصرية · وهناك نصوص أخرى خاصة بالمطارات والسلاح ، لم تنفذ ·

الحصـــاد

ولحرب فلسطين حصاد بالغ الأهمية ·· بعضه فى فترة المعركة ، وما تلاها بزمن قصير · وبعضه مستمر مع قيـام دولة اسرائيل ·· وفيما يلى عرض لهذا الحصاد ··

• • •

أولا ــ حاول الـكونت برنادوت وسيط هيئـة الأمم أن يبقى فى التقسيم منطقة النقب فى يد العـرب ، حتى تتصل البلاد العـربية فى أفريقية وآسـيا بعضها ببعض · ودون هذا الرأى صراحة فى تقريره · وتحـدث به مع زعماء البلاد العربية ، وزعماء اليهود · وكان الرد النهـائى لليهود رصاصات أفرغها اليهود فى جسد برنادوت قضت على حياته ، وعلى مقترحاته للوساطة ، وعـلى فكرة ايجاد اتصال أرضى بين بلاد العرب الأفريقية ، وبلاد العرب الآسيوية ·

وعلى الرغم من الصـــفة الدولية للـكونت برنادوت ، الا أن أحـدا لم يعبأ بمصرعه ، ولم يبكه أحد ، ولم تستنكر دوائر الرأى العام العالمى هـذه الجريمة البشعة ، وذلك لأن مرتكبيها هم اليهود ، واليهود كانوا قد عبأوا لصالحهم كل وسائل الاعلام العالمية ، فمروا سريعا بهذا الحادث ·· حتى الدولة الوطن ، التى كان ينتمى اليها الوسيط ، أو أى من دول اسكنديناڤيا بصفة عامة ، لم تكترث لهذا الحادث ·

• • •

ثانيا ــ كانت صـــدمة الهزيمة فى فلسطين ، عميقة الوقع على العنـاصر المتحركة فى المجال السياسى المصرى بصفة خاصة ، والمجال العربى بصفة عامة ··· وقد حاولت السلطات الحاكمة أن تخفف وقع الهزيمة على الرأى العام ، بأن منعت الصحف من ذكر كلمة اسرائيل ، أو وصفها بكلمة المزعومة ·· وكأن هذا العـدو الذى استقر فى قلب أمتنا ، يضعف من وجوده أن نتجاهله على هـذه الصورة المضحكة ·

وأدى الاضطراب الفكرى الداخلى ، وعدم وجود القيادة والتوجيه الرشيد ، الى عدة حوادث منها :

١ – مقتل المستشار أحمد الخازندار وكيل محكمة استئناف مصر يوم ٢٢ مارس سنة ١٩٤٨ · وكان رئيس محكمة الجنايات التى نظرت احدى قضايا الاخوان المسلمين ·

٢ – فى ٢٥ أبريل سنة ١٩٤٨ تمت محاولة لنسف منزل زعيم الأغلبية الوفدية بجاردن سيتى ، فتهدم جزء من المنزل ولم تحدث خسائر فى الأرواح ·

٣ – فى شهرى يوليو وأغسطس سنة ١٩٤٨ ، نجحت محاولات نسف محلات شيكوريل وأوريكو وداود عدس وبنزايون وجانينيو · وفى شهر سبتمبر حدث انفجار كبير فى حارة اليهود قتل فيه ٢٠ شخصا وأصيب ٦١ ·

٤ – وفى شهر نوفمبر تكررت محاولة القضاء على زعيم الأغلبية الوفدية ، بالرصاص · وأصيب حارسان كانا معه ·

وفى نفس الشهر نسفت شركة الاعلانات الشرقية التى كان يملكها يهودى انجليزى وتصدر صحفا أجنبية ·

٥ – وقبل أن يختم عام ١٩٤٨ ، قتل اللواء سليم زكى بشظية قنبلة فى ٤ ديسمبر أطارت رأسه من فوق كتفيه ·

وفى ٨ ديسمبر حلت جماعة الاخوان المسلمين ·

٦ – وفى ٢٨ ديسمبر سنة ١٩٤٨ نجح تدبير من الاخوان المسلمين لاغتيال رئيس الوزراء محمود فهمى النقراشى فى قلب وزارة الداخلية ·

٧ – وفى ١٢ فبراير سنة ١٩٤٩ ، نجح تدبير لاغتيال الشيخ حسن البنا مرشد الاخوان المسلمين · وحاول تنظيم سرى للاخوان الانتقام له بتدبير اغتيال لرئيس الوزراء الذى خلف النقراشى ، وهو ابراهيم عبد الهادى ، ولكنه نجا من الكمين ، كما نجا منه رئيس النواب محمد حامد جودة ·

وقعت كل هذه الحوادث فى أقل من عام ، وكانت العناصر التى حاولت أن تعبر عن رأيها بالرصاص والقتل تنقسم الى فئات :

١ – الاخوان المسلمون الذين نظموا أجهزة سرية ، وكانت حرب فلسطين فرصة مواتية لتدريب بعضهم على استعمال أنواع الأسلحة ·

٢ – الملك فاروق الذى جزع من تزايد قوة الاخوان ، والتجائهم الى السلاح ، فدبر مع بعض عناصر الأمن العام مقتل الشيخ حسن البنا منشىء حركة الاخوان ·

٣ – الحاج أمين الحسينى مفتى فلسطين ورئيس الهيئة العربية العليا التى كانت تعمل فى فلسطين » وكان قد جمع فى مخازن بضواحى القاهرة كميات ضخمة من السلاح والذخيرة ، وبدلا من أن يساهم بها فى حرب فلسطين ، أبقاها فى حوزته لكى يصفى بها خصومه فى بلده ، اذا أتيحت له العودة ·· وهذه الأسلحة هى التى كانت مسؤولة عن حوادث نسف المتاجر والمساكن اليهودية فى القاهرة ··

٤ – بعض عناصر الشباب المصرى الساخط على الأوضاع السائدة فى مصر والذى بدأ نشاطه باغتيال أمين عثمان كما ذكرنا من قبل ·

ثالثا ـ عرف ضـباطنا الأحرار فى خنـادق فلسطين ، أين يجب أن تدور المعـركة الحقيقية ؟ ان مكانها يجب أن يكون فى القاهرة ، لازالة الفساد الـكبير الذى زكمت رائحته كل الأنوف ٠

لقد وافق الملك والنظام الحزبى الذى يسنده ، على استدراج الجيش الى كمين دبره الانجليز فى فلسطين ، مستعينين باليهود لكى يبيدوه ٠ على أمل أن تمضى حقبة كافية من الزمن ، قبل أن تفيق البلاد من الصـدمة ، وتسترد معنوياتها مرة أخرى ٠٠ ولقد حاول الملك وعصابته ، أن يجروا المغانم المالية الضخمة من هذه الحرب ، بالمتاجرة فى السلاح ، بل المتاجرة فى الغنائم نفسها ٠

فقد وقع فى يد أحد الفدائيين المصريين أقدم مخطوط للتوراة (سكرول) لهم ، وعاد به الى القاهرة ٠٠ وبوسيلة ما وصلت هذه الغنيمة التـاريخية التى لا تقدر بمال الى فاروق ، ولكنها عنده تحـولت الى مال ٠٠ حتى لو كان من يد اليهود ٠ والله وحده يعلم بمقداره ٠ ولكن لعـل الـ ٧٠ مليونا من الجنيهـات التى قيل أنه تركها فى البنوك الأجنبية ، تشـهد كم منها دفعـه اليهود ، وكم منها سمسرة الأسلحة الفاسـدة التى قتلت شـهداءنا فى فلسطين ، وكم منها أخذت عنوة ، واختلاسا ، وعلى موائد القمار فى مصر ؟!!

ان مصر لا تضن بأى دم يراق فى سبيل الشرف والنجدة والكرامة ٠٠ ولكن الدماء التى أريقت فى حرب الحبشـة أيام اسماعيل ، والدماء التى أريقت فى أرض فلسطين أيام فاروق ، كانت تضحية غالية على مذبح المؤامرة ، والخديعة ، والوهم ، والخور من بعض الذين سيروا هذه الحملات ، وأشرفوا على قيادتها ٠

لقد فقدنا فى هذه الحرب القائمقام أحمد عبد العزيز البطل الفدائى ، وكان ذلك فى يوم ٢٢ أغسطس سـنة ١٩٤٨ ٠ وقد أحصينا من عرفنا أسماءهم من الضباط الشهداء فكانوا ١٠١ ضابطا موزعين على الرتب الآتية :

٣ قائمقام ـ ٨ بكباشى ـ ٢٦ صـاغ ـ ٢٨ يوزباشى ـ ٢٣ ملازم ، ومن ضباط الطيران ١ قائد جناح ـ ٦ قائد أسراب ـ ٥ قائد سرب ـ ١ طيار أول وهذا غير آلاف الجنود والمتطوعين الذين استشهدوا فى هذه الحملة ٠

واذا راجعت صفحات الجرائد والمجلات قبيل حرب فلسطين وأثناءها، فانك تجد العجب العجـاب ٠ فضباط البوليس يضربون عن العمـل فى شهر أبريل سنة ١٩٤٨ ، أى الشهر السـابق للحملة مطالبين بتحسين حالهم ٠ وهى أول مرة يسمع فيها عن مثل هذا الاضراب ٠ وتجد الصحف غاصة بأنباء السهرات والصفقات ، والمهاترات الحزبية ، ورسائل رؤساء التحـرير الذين سافروا الى أوروبا ، يشاركون فى مصايفها ، ولهوها ، ويصفون ما يشاهدون ٠٠

لا شىء مطلقا ، يدل على اكتراث عام ـ مجرد اكتراث ـ لهذا الكفاح العنيد العنيف الذى يدور على أرض فلسطين ٠

وربما كان من أغرب ما استمتع به قراء الصحف فى تلك الأيام ، هو صور شقيقات الملك ، وهن يرتدين الملابس العسكرية ، وواحدة منهن تحمل رتبة فريق ، والثانية رتبة لواء ، والوصيفة تحمل لقب صاغ ٠٠ وتبارى « بنات الذوات » فى ارتداء هذه الازياء حسب آخر « المودة » والحصول على رتب عسكرية ٠

هناك دماء تسيل ، وأرواح تزهقها الأسلحة الفاسدة ، أو عدم وجود الأسلحة المناسبة على الاطلاق ، وهنا الأزياء المعطرة ، والصور الفاتنة ، والاستغلال المفضوح للمعارك ٠

ولهذا فقد قالها البطل أحمد عبد العزيز قبل أن يستشهد فى فلسطين ٠

وقالها جمال عبد الناصر فى خنادق الفالوجة ٠

وقالها عبد الحكيم وزكريا ، وزملاؤهم من الضباط الأحرار ، وكانت استجابة زملائهم ، الموثوق بهم ، لصيحة الضمير ، استجابة عميقة واعية ، سطرت حروفها من واقع المشاهد والمذابح التى حدثت أثناء هذه الحرب ٠

قالوا جميعا : القاهرة هى ميدان العمل القادم ٠٠ والاستعمار هو هدف المعركة ، وأسناد الاستعمار من ملكية ، وحزبية ، وفساد ، وظلم اجتماعى ، يجب أن تنال أول الضربات ٠

• • •

رابعا ــ ظهر بوضوح أن القيادة الشعبية لأبناء فلسطين ــ وهى الهيئة العربية العليا ــ غير قادرة على حمل عبء الكفاح ، فقد أضاعت فرص ما قبل المعركة ، وقالت لشعب فلسطين أذهب أنت ومن يأتى لمعونتك فقاتلوا ، اننا هنا فى القاهرة قاعدون !!

ففى ٢١ يناير سنة ١٩٤٨ ، أى قبل انتهاء الانتداب بعدة شهور كتب الأستاذ فراج طايع قنصل مصر فى القدس الى وزارة الخارجية المصرية يقول :

« أصبحت الهيئة العربية العليا ، موضع نقد شديد من الشعب ٠ وتلقى العضوان الباقيان منها فى القدس ، وهما أحمد حلمى باشا ، والدكتور حسين فخرى الخالدى يوميا تقريعا شديدا من الناس يصل أحيانا الى السباب ، ويسألونهما أين السلاح ، وأين باقى أعضاء الهيئة العربية العليا ، وماذا يفعلون فى مصر أو فى بيروت ٠٠ ولابد من القول مع الأسف الشديد أن الهيئة العربية تدير كفاح فلسطين ادارة سيئة جدا ٠ وكل ما يقوله زعماؤها مناقضا لهذا ، غير صحيح ٠ فهل يعقل أن يسافر كل أعضاء الهيئة ما عدا اثنين ، الى خارج فلسطين فى أشد الأوقات حرجا ، ثم لا يترك للاثنين الباقيين قليل من المال لمواجهة الموقف ، ولا يحاطان علما بما يرسل من سلاح ، وليست لهما بتوزيعه أية صلة ٠ وما يجرى من هجوم على السيارات والمستعمرات اليهودية

لا يعلمان عنه شيئا ، الا بعد وقوعه ، ولا يستطيعان أن يمنعا حدوثه اذا وجدا أن ذلك فى المصلحة ، لأى سبب من الأسباب » ٠

وفى تقرير تال بد يومين قال القنصل (أصبح وزيرا للخارجية بعد قيام الثورة) :

« سافر من فلسطين الى البلاد العربية المجاورة مئات من العائلات ، وخصوصا الكبيرة منها كعائلة السيد جمال الحسينى نائب رئيس الهيئة العربية العليا ، كما ان معظم المتاجر فى الأحياء العربية فى القدس توقفت تجارتها ، كما توقفت حركة المرور فى الأحياء العربية بينما تسير التجارة وحركة المرور فى الأحياء اليهودية الآن كالمعتاد ، وكانت قد تأثرت فى الأيام السابقة » ٠

وقد بقيت الهيئة بعد ضياع فلسطين تباشر نشاطها فى جمع الأموال باسم فلسطين ، واذاعة البيانات والنشرات ٠٠ حتى اذا مضت السنين ، وظهر أن العمل من أجل فلسطين يحتاج أولا وقبل كل شىء الى كفاح شعبها ، فهم رأس الرمح الذى يجب أن ينفذ الى احشاء الكيان الاسرائيلى ٠ فقرر مؤتمر القمة الذى ضم ملوك ورؤساء العرب ، انشاء منظمة التحرير الفلسطينية ، وتكوين جيش فلسطينى ٠ وكان لمباشرة نشاطها هزة كبيرة فى الدوائر اليهودية ، مما دعا الذين يؤيدونها ، الى تأليب عملائهم ، حتى وصل الأمر بحكومة الاردن الى مصادرة نشاط المنظمة ، والقبض على من تعثر عليهم من أعضاء جماعة الفتح الفدائية التى تباشر نشاطا داخل أرض اسرائيل نفسها ٠

• • •

خامسا – ويمكن القول ان تأثير الهزيمة فى فلسطين قوبل بعدم المبالاة فى الدوائر الرسمية المصرية ، وقوبل بالمرارة البالغة فى دوائر الجيش المصرى ولا سيما بين الضباط الأحرار الذين بدأوا يحكمون تنظيمهم ويمدون نطاقه ٠ ويسدون الثغرات الكثيرة التى حدثت فى هذا التشكيل السرى ، بسبب من استشهد فى فلسطين من رجاله ، ومنهم شباب أفذاذ فى وطنيتهم وبسالتهم ٠

وقد سار عبد الناصر على نفس النهج الذى رسمه ، وهو التزام سن معينة ، أو رتبة معينة ٠٠ كانت السن حول الثلاثين تزيد قليلا أو تنقص قليلا أى ما بين رتبة اليوزباشى ، والصاغ ٠

وقد ساعده عمله كأستاذ فى الكلية الحربية ، وفى أركان الحرب ، على وزن هذا الشباب العسكرى وزنا دقيقا ، وبهذا كانت زمالة السلاح ، الى جانب رجحان الوعى الوطنى هما العاملان الأساسيان فى الاختيار لعضوية هذه الجماعة الثورية ٠

سادسا ـ واسرائيل ، بعد أن كسبت الجولة الأولى فى حربها ضد العرب ، مستعينة بالخديعة والمال والسلاح والعروش ، تحس أنها دولة ولا دولة ٠٠ لها علم ، ولها عضوية فى هيئة الأمم ، ولكنها تعرف أنها تعيش فى هذه المنطقة كما يعيش اللص أو قاطع الطريق الذى يعرفه كل الناس ٠

عقدة الخوف تسيطر عليها ، ولهذا فقد تعهد لها ثلاث من الدول الغربية بحمايتها ، وذلك فى مايو سنة ١٩٥٠ ، وهذه الدول هى الولايات المتحدة وانجلترا وفرنسا ٠٠ ولم تكن الصدفة وحدها التى جعلت من هذه الدول ـ دون غيرها ـ المسيطرة على بترول الخليج العربى بشاطئيه وبترول العراق !!

وقد عبر « موسى ديان » القائد الاسرائيلى ، الذى قاد الهجوم على سينا ضمن مؤامرة العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ ، عن عقدة الخوف هذه فى كتيب نشره عام ١٩٥٥ (١) ، يستجدى فيه المال والسلاح من يهود ودول الاستعمار قال :

ان مساحة اسرائيل تبلغ ٨ر١٠٠ ميل مربع ٠ وطبيعة جغرافيتها جعلت لها جبهة يبلغ طولها ٤٠٠ ميل ٠ ان ثلاثة أرباع تعداد سكان اسرائيل يعيشون على السهل الساحلى الذى يمتد من شمال حيفا الى جنوب تل أبيب ٠ وينبعج هذا الشريط انبعاجة طفيفة الى القدس ٠

ان هذه المنطقة المكتظة بالسكان لا يزيد متوسط عرضها من شاطىء البحر الأبيض الى حدود الاردن عن ١٢ ميلا ٠٠ ان المرء يستطيع وهو فوق البرلمان الاسرائيلى فى القدس ، أن يرى جنود الاردن على بعد بضعة مئات من الياردات وان المرء ليستطيع وهو على تلال حدود الاردن أن يشاهد بجلاء مركز القيادة الاسرائيلية فى السهل الساحلى فضلا عن أن الطرق الرئيسية والسكك الحديدية معرضة للهجوم الخاطف ٠ وتكاد الا تجد مكانا فى اسرائيل يمكن فيه للمرء أن يكون بعيدا عن متناول نيران العدو ٠ حقا انك لا تجد بقعة فى اسرائيل لا تبعد عن الحدود أكثر من عشرين ميلا اللهم الا فى بعض مناطق النقب ٠

ان اسرائيل كلها لا تعدو أن تكون جبهة على الحدود ، أما الدول العربية فحالها يختلف عن ذلك ، ان حالة التوتر على الحدود لا تؤثر الا فى شريط ضيق من أراضيها بينما يبقى جل الدولة فى منأى عما يلم بالحدود من أحداث ٠

ويبدو بوضوح من هذا الكلام ، ان اسرائيل لا تحس بأنها دولة لها كيان ، ولها استقرار ، الا بمقدار ما تسمح لها المؤامرة الاستعمارية ، على العرب بالوجود ٠٠ فاذا رفعت دول الغرب يدها عنها ، فان الجولة القادمة مع اسرائيل ، لن تستغرق أكثر من تحرك قوى الغضب التى تحيطها بها الشعوب العربية ، لكى يهب الاعصار الذى يقتلعها من جذورها فى أقصر وقت ٠

---

(١) اسم هذا الكتاب : مشاكل الحدود وسلامة اسرائيل

الكفاح العظيم

أدت هزيمة العرب فى فلسطين ، الى ما يشبه الزلزال فى القيم السياسية كلها . وبدا أن تغييرا كبيرا يوشك أن يحدث فى البناء العام كله لجميع دول المنطقة ، ومصر فى مقدمتها ، حتى تواجه الحالة الجديدة .. وبدافع الحرص على المصالح والمزايا المكتسبة ، أخذت كل جماعة تدافع عما فى يدها ، متحصنة بكل الوسائل المتاحة لها .. تدافع ضد من ؟.. ضد هذا الرأى العام الذى بدت نذر غليانه تظهر وتفور ، بالاغتيالات والاضرابات التى ذكرنا أمثلة لها .. وبالمظاهرات العنيفة ، التى قابلها الوزراء ، والانجليز المسيطرون على البوليس أو تلاميذهم فى ادارة هذا الجهاز ، بمنتهى العنف والشدة ..

وقد ذكرنا من قبل ، أن قائمة السياسيين التى وقعت بيانا باستنكار ثورة سنة ١٩١٩ بناء على طلب الجنرال اللنبى ، هم الذين تولوا المسئولية العامة بعد ذلك خلال جيل كامل أعقب هذه الثورة ... وقد امتلك معظمهم الضياع الواسعة ، والثروات العريضة ، وتكونت منهم طبقة، كانت قشرة صلبة راسخة على سطح الحياة المصرية ..

ولنضرب أمثلة ببعض هذه الشخصيات ، وما كان تحت يدها من وسائل الاثراء :

■ اسماعيل صدقى :

كان وزيرا أثناء الحرب العالمية الاولى . وهى الفترة التى أعلنت فيها الحماية البريطانية . وعرفت عنه فضيحة خلقية ، مست رئيس وزراء كان يعمل فى تلك الأيام ، ولكن الانجليز حرصوا على ابقاء هذه الفضيحة طى الكتمان ليستفيدوا منها عند اللزوم .. وقد اشترك اسماعيل صدقى فى عضوية الشركات التالية :

١ ــ الشركة الانجليزية البلجيكية
٢ ــ شركة الغزل الاهلية
٣ ــ شركة الملح والصودا
٤ ــ شركة وادى كوم أمبو
٥ ــ الشركة العقارية المصرية
٦ ــ شركة الأشغال والمبانى
٧ ــ الشركة الانجليز المصرية
٨ ــ شركة سكة حديد الفيوم
٩ ــ شركة قنال السويس
١٠ــ رياسة اتحاد الصناعات